(عَيْنٌ على التُّراثِ الأَدَبيِّ)

صورةُ الواقع في كُتب التراثِ الأدبيِّ
قصصٌ وأحداثٌ ممتعة

نوير بنت عبدالله العنزي
مُحاضِرة في جامعة الملك سعود للعلوم الصحية

دار الرائدية للنشر والتوزيع

ⓒ دار الرائدية للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العنزي ، نوير بنت عبدالله
(عَيْنٌ على التُّراثِ الأدَبيِّ) / نوير بنت عبدالله العنزي
عبدالرحمن الجحافي الخفجي ١٤٤٠ هـ
ص ١٣٦؛ ٢١ × ١٤ سم
ردمك ٩- ٣٩ - ٨٢٦٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ النثر العربي السعودية ا. العنوان
ديوي ٨١٩,٩٥٣١ / ٧٢٣٢ / ١٤٤٠

رقم الايداع: ٧٢٣٢ / ١٤٤٠
ردمك ٩- ٣٩ - ٨٢٦٢ - ٦٠٣ -٩٧٨

دار الرائدية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية الخفجي
ت : ٠١٣٧٦٧٥٢٧٢
واتساب : ٠٥٥٠٧٦٧٠٠٠
تويتر والانستغرام: daralraidiah
www.daralraidiah.com
لوحة الغلاف للفنان التشكيلي : محمد الرباط
جرافكس : منى علي

(عَيْنٌ على التُّراثِ الأَدَبيِّ)

صورةُ الواقع في كُتب التراثِ الأدبيّ
قصصٌ وأحداثٌ ممتعة

نوير بنت عبدالله العنزي
مُحاضِرة في جامعة الملك سعود للعلوم الصحية

إهداء

إلى مَن كسرتهم الحياة، فبحثوا عن جبيرة ولم يجدوا، فظلوا صامدين متوكئين على الصبر خشيةَ الزلازل.

إلى مَن يُصفِّقون لإخفاقك، ويختفون عند نجاحك...

إلى العظماء....والدي؛ القافية التي لاتنتهي...

فيصل...صغيري النفيس

وأبو فيصل..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ الذي جمَّل أدبَنا بالقرآن، وأنطقَنا بروائع البيان، والصَّلاة والسلام على أشرف المُرسَلين، سيِّدنا محمد؛ أعظمِ العربِ لسانًا، وأشرفِهم منطِقًا وبيانًا.

للعرب أحداثٌ تكررَت وتشابهَت، وأيامٌ دارت بها دائرةُ الحياة فرجعَت كما كانت، ومن سُنن الله في خلقِه وجودُ قوانين وشرائع يسير عليها البشرُ.

ما أشبهَ الليلة بالبارحة!

إنَّ مقولة: (التاريخ يعيد نفسه) تجعلنا نتأمَّل لحالنا اليوم؛ فقد تتشابه أحوالُنا مع أمم سابقة بطريقة إيجابية، وقد تختلف بطريقة سلبية بتغيُّر المكان، أو عن طريق تغيُّر الأشخاص.

لذا، علينا أنْ نفهم التاريخ كما فهمه العظماءُ من قبلنا؛ فسلموا وملَكوا.

من هنا، يممتُ قلمي، وسجَّلتُ شيئًا من الحوادث الحاضرة، وما يناظِرها من الحوادث السابقة بقراءة تُسلّي القارئ، مستعينةً بكتب

التراث الأدبيِّ التي سجَّلت أعظم الحوادث والمآثر، منتقية بعضًا من المواقف والأحداث مشتملةً على الأبيات الشعرية التي تصف الحدثَ وتعرضُه.

وتتمثل أهمية هذه القراءة فيما يلي:

١- إحياء كتب التراث الأدبيِّ التي غابت عن القراءة؛ بسبب الانشغال بوسائل الاتصال الإلكترونيِّ.

٢- إحياء اللسان العربيِّ الذي بدأ ينحدر، ويختلط باللكنة.

٣- تسلية القارئ بالمضمون المفيد، عن طريق القراءة في طرائف وأيام الأمم السابقة.

٤- تقديم الحلول الفاعلة لقضايا كثير من المجتمعاتِ؛ عن طريق ربط الحاضر بالماضي.

٥- الإسهام في رُقيِّ المجتمع وتطوُّره عن طريق الاطِّلاع على ثقافاتِ الأمم السابقة.

نقوشٌ على الجدرانِ

كتاباتٌ شتى نجدها على الجدران، تكشف عن معاناة مَن كتبها وتشتته النفسيِّ، منهم مَن يلوم الدنيا، ومنهم مَن يشتاق للحبيب، وهناك مَن يرثي والبعض يهجو. والكثير يفخر.

كتبوا عن الليل وطوله، وانتظروا الصباح بشمسه المشرقة، كتبوا عن الجنون والحب والنأي، وعن القهر والموت وحب الدنيا التي كانوا يركلون بطون أمهاتهم لأجل الخروج إليها، وعبروا عن وفاء الصديق وغدره وشماتة الأعداء، نادوا بالحرب والسلام وطالبوا بالحرية، ووصفوا الصمت بدقة، وجسدوا القهر،وعابوا الحياة.

تجد لوحاتٍ مشرقة جميلة تعبر عن سعادة وعن أمل قريب، وأخرى تُعبِّر عن بؤس وكآبة، تحكي قصصًا شتى، وعبارات وأبيات فاحشة تخدش الحياء تكتب وتبقى مدة طويلة من غير التفات من قبل الجهاتِ المختصة!

لا زلت أذكر اللوحة الجدارية لوحة الفنان (أحمد زهير) التي رُسِمت في كورنيش جدة تعبيرًا عن الحزن الدفين، يوم تَوفى الله – خادمَ الحرمين – الملك عبدالله – رحمه الله – كانت لوحة تصف

رحيلًا وألمًا يعتصر من رسمها؛ تحية عظيمة لذلك الفنان الذي رسم لوحةً عبَّرت عن معانٍ سامية.

كتب الفنان على اللوحة عباراتٍ لم تكن للرسام أحمد زهير نفسه (وين رايح... التفت سلم علينا ما ارتوينا من حنانك، ومنك والله ما اكتفينا..) كانت العباراتُ لشخص آخر لا أعرف اسمه، ولكنَّ الخطوط التي رُسم بها الملك عبرَتْ كثيرًا عن مشاعر شعب برُمَّتِه.

فتح الفنان بابًا واسعًا عند كثير من أصحاب المواهب؛ فمنهم مَن خطَّ شعرًا على الجدار في رثاء الملك، ومنهم مَن رسم لوحات أخرى تُعبِّر عن حبه لملك الإنسانية لكنَّ الباب بقي مفتوحًا على مصراعيه، لم يعبأ أحد من المسؤولين بتنمية تلك المواهب أو حتى تبنّيها.

إنَّ موقف مثل هذا الفنان المبدع قلق، فربما تُكتب عليه مخالفة من جرّاء تجمهُر الناس أو ربما تُمسح اللوحة وتزول آثارها.

طاقة جميلة تُهدَر، الكثير ينظر لتلك المواهب أنها كارثة اجتماعية، فالوسيلة تبقى غير حضارية، ولو هذبت الكتابة على الجدران إلى ورشة تعليم الخطوط لأصبح أمرًا جميلًا، فما رأيتُ كتابة على الجدران إلا ولمستُ فيها الإبداع.

بقيت تلك اللوحة شهيرة في وداع الملك – رحمه الله رحمة واسعة – أتمنى أنْ تُحمى من أيدي العابثين، فربما تصبح نقشًا أثريًّا.

أهدى بعض الكتاب إلى أخ له أقلاما وكتب إليه: إنه - أطال الله بقاءك - لما كانت الكتابة قوام الخلافة، وقرينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة قدرًا، وأعلاها خطرًا، أحببت إليك أنْ أتحفك من آلاتها بما يخفُ عليك محمله، وتثقل قيمته، ويكثُر نفعه، فبعثت أقلامًا من القصب النابت في الأغذاء، المغذو بماء السماء، كاللآلئ المكنونة في الصدف، والأنوار المحجوبة بالسدف، تنبو عن تأثير الأسنان، ولا يثنيها غمز البنان، قد كستها طباعها جوهرًا كالوشي المحبر [1].

قال العتابي: سألني الأصمعي فقال لي: أيُّ الأنابيب أصلح للكتابة وعليها أصبرُ؟ فقلتُ: مانشف بالهجير ماؤه، وستره عن تلويحه غشاؤه، من التبرية القشور، الدرية الظهور، الفضية الكسور. قال فأيُّ نوع من البرى أكتَبُ وأصوبُ؟ قلت: البرية المستوية القط، عن يمين سِنّها برية قال: فبقي الأصمعي شاخصًا إليَّ ضاحكًا لا يحير مسألة ولا جوابًا [2].

(١) زهر الآداب ٢:٦١٦

(٢) المصدر نفسه ٢:٦١٩

قهوة (أ)

إحدى الإجازاتِ قضيتُها في عمْان كان البرد شديدًا، وكانت الأجواء قارصة، والثلوج تطبع آثارها على الأرض المعشبة،وبالرغم من ضوضاء المدينة، إلا أنَّ الهدوء يفرض نفسه ويخيّم على أرجائها.

كنتُ أجلس كلَّ يوم في مكان مخصص للقهوة استمتع بشربها. بينما الليل متوسلًا عساكره لحراسة تلك الليلة الطويلة، ونسائمه تتنفس رائحة القهوة بطعمها المميز، فقد كانت تدفئ خلجات الليل المظلم؛ فالقهوة الحقيقة هي القهوة التي ترتشفها من غير إضافات كالمرأة الجميلة من غير المساحيق.

لم أكن أكرر نوع القهوة في كل يوم، فالشيء المكرر يبعث الملل ويزيده، فكلما طلبتُ قهوة غيرتُ النكهة.

حينها، تذكرتُ حديث إحدى الصديقات التي كانت تُكثر الشكوى من زوجها، وما علمتْ أنَّ وضعها يحتاج إلى كثير من التعديل والترتيب؛ كي تنسجم مع الحياة.

تعاني من كثرة مكوث زوجها على الجوال؛ يقرأ رسالة، ويشاهد مقطعًا، وكثيرًا ما يتراقص مع الشيلات والأغاني.

تقول وفي حديثها عبرة تخنقها: لستُ من اللاتي يهملنَ أنفسهنَّ مشغولاتٍ بالمطبخ والأولاد، ولستُ من اللاتي ينصرفنَ عن أزواجهن للعمل أو الزيارات، ومع ذلك ينشغل عني بالجوال.

لاسيما إنَّ الحياة اليومية مملة بمتطلباتها وانشغالنا فيها، الحياة تحتاج إلى تغيير وكسر للروتين، تحتاج قليلًا من هزل مخلوط بشيء من الجد، وهذا الذي يجهله الكثير من النساء.

دعت امرأة رجلًا يقال له أبا الحارث وكان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداكِ لا أسمع للغداء ذكرًا؟ قالت: أما تستحي؟! أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟

قال لها: جعلني الله فداك لو أنَّ جميلًا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئًا لبزق كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا [1].

ولما كان مساء الغد، عدتُ إلى المكان نفسه، فداهمني الجوع، عندها أردتُ أنْ أتناول طعاما قبل شرب القهوة، وعلى عادة أهل تلك البلاد كانوا يتلذذون بطبق (الكبة المشوية) بكسر الكاف أو بضمها فلا يفرق ذلك عندي.. أذكر أني طلبتُ من النادل ذلك الطبق فتبسم ضاحكًا قائلًا: هذا الطبق في المطعم لا يُقدَّم إلا مع الأرجيلة!

فقلت: وما المانع من تقديمه منفردًا؟

قال: لا نستطيع. هكذا الأنظمة!

---

(١) الكامل ٢: ٨٧٠

تعجبت من قوله وفي الوقت نفسه أكبرت احترامه للأنظمة التي ابتعد الكثير عن تطبيقها، وفبقيتُ أتلذذ بذلك الطبق الذي لم يقدم لي طيلة مكوثي في عمان!

تلك الليلة لم يكن لها نهاية كليل ابن خفاجة الذي كان يخلف بالوعد كلما عزم على الانصراف الذي يقول فيه:

بليل إذا قلت قد باد فانقضى تكشف عن وعد من الظن كاذب

حينها حننت إلى أرض وطني... فغادرت.

وكان الناس يتشوقون إلى أوطانهم، ولا يفهمون العلة في ذلك، حتى أوضحها عليُّ بن العباس الروميّ، لسليمان بن عبدطاهر يستعديه على رجل من التجار، أجبره على بيع داره، واغتصبه على بيع جدرها، بقوله:

ولي وطن آليت ألا أبيعه وألاأرى غيري له الدهر مالكا

عهدت به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم مآربُ قضاها الشباب هنالك

إذاذكرواأوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنّوا لذلك

فقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

وقدعزني فيهالئيم وسامني فقال اجهد في جهد احتيالكا [1]

جاء أبو الحسن بن الرومي بقصيدته هذه، وقال لرجل عالم

(١) زهر الآداب ٢: ٦٨٢

بالأدب والشعر: أنصفني، وقل الحقَّ، أيهما أحسن: قولي في الوطن أو قول الأعرابي:

أحَبُّ بلاد الله ما بين منعج إليَّ وسلمى أنْ يصوب سحابها

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

فقال: بل قولك؛ لأنه ذكر الوطن ومحبته، وأنت ذكرت العلة التي أوجبَت ذلك[1].

(١) المصدر نفسه ٢: ٦٨٢

قفا نبك

سلامٌ على الذين أحببتُهم عبثًا، لي صاحب أنكر أيامًا تقادَم عهدُها، أنكر أيامًا لها طربنا وعشنا وأكلنا.

كم من مرة قدَّرْنا شخصَه ولم يكن يُقدِّر ذاتًا لنا!، عندما أتحدث له كنتُ على يقين أنَّ حديثي لا يمسُّ قلبه ولا حتى يستشعر به.

دائمًا يستقبلنا بجند من الانفعالات، وكلَّ يوم يصبُّ علينا جامَّ غضبه، كلماتٍ كان يرشقنا بها غير مبال بعهود ومواثيق بيننا.

آمالُنا التي كنا نبنيها معًا ولَّت إلى حيث لا تعود، لقد نسي صاحبي أنَّ الحياة ماهي إلا أيامٌ، وقد نكون أو لا نكون، وربما نعيش أعوامًا قلائل، والأعوام تدور كرحى تطحن ثم تطحن، ويتصفى الحسابُ مع الحياة.

لست أدري يا صاحبي هل الزمانُ بدأ بنا أم انتهى؟! على أني كنتُ أحفظ ولا زلت ذكرياتِ تلك الأيام.

صار البُعد والاختلاف والنفور كشوقنا وطربِنا أيام قربنا وأُلفتنا، تداعتْ علينا كلُّ شياطين الإنس والجنِّ حتى غلبونا، وطمعَت فينا الوساوسُ والقلق، وتربَّصَت فينا الفرقة حتى نالت منّا.

لستُ أنسى الأيام السعيدة بيننا، مابالك اليوم تنساها؟! ولستُ أنسى معروفًا بيننا قابلتَه بالجحود والخذلان.

إني لا أزال أرى مشهد جلساتنا وأسمع صوت ضحكاتنا أيام كان طريق الأخوة فسيحًا أمامنا، لا تعتريه حجارة، ضاق الطريق يا صاحبي، وخبَت شُعلتنا.

نحن بشرٌ مُعرَّضون للخطأ، أو للخصام، ولو تركنا الخلافَ وأدرنا له عطفا، لتركنا وولّى بعيدًا عنا.

ومن الرسائل بين الأصحاب... «ما أبعد البُرء من مريض داؤه في دوائه، وعِلَّتُه في حميته!، وأنا منك كالغاصّ بالماء لا مساغ له».

وكما قال الشاعر:

كنتُ من كربتي أفر إليهم وهم كربتي، فأين الفرار؟![1]

(ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحَك من الفضل، ولو أنَّ كلَّ مَن نزع إلى الصَّرم قلَّدْناه عنان الهجر لكنا أولى بالذنب منه، ولكنا نرد عليك من نفسك، ونأخذ لها منك..).[2]

(لا وعظيم أملي فيك!، ما أتيت فيما بيني وبينك ذنبًا مخطئًا ولا متعمّدًا، ولعل فَلْتة لم أُلقِ لها بالًا فأوطئ لها اعتذارًا، وإنْ تكن فنفثةُ حاسد زخرفها على لسان واشٍ نبذها إليك في بعض غراتك أصابت مني مقتلًا، وشفَتْ منه غليلًا...).[3]

---

(١) العقد الفريد ٢:٤٣

(٢) المصدر نفسه ٤:٢١٦

(٣) المصدر نفسه ٤: ٢١٧

إذا كنت تغضب من غير ذنب وتعتب في كل يوم عليّا
طلبت رضاك فإنَّ عزتي عددتك ميتًا وإنْ كنتَ حيّا
فلا تعجبن بما في يديك فأكثر منه الذي في يديّا[1]

وقول الشاعر:

عجبتُ لقلبك كيف انقلب ومن طول ودك، أنّى ذهب
وأعجب من ذا وذا أنني أراك بعين الرضا في الغضب[2]
ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلُمْه على شعثٍ أي الرجال المهذب[3]

لقد تحدَّث الكثير عن صفات الصديق وطالبوا بالمثالية؛ حيث أرادوا أنْ يصبح رهنَ الإشارة في كل أمر، أينما التفتَّ وجدتَه مصغٍ إليك.

لا نريد من الصديق المثالية التي قد تجعله في يوم ينفر منك فيصاب بالملل والسآم.

تمنيت الصديق الذي إنْ بادلتَه الحديث تحدَّث بأريحية وانسجام، وإنْ غبتَ تبقى في ذهنه وقلبه، تحنُّ إليه كحنان الأطفال إلى أمهاتهم، تتذكر أيامَه التي تشتاق إليها بلهفة وعنفوان الشوق.

لاحاجةَ لنا إلى صداقات لمصلحة فحسب، فلدينا مايشغلنا عن كثير من الخلائق التي ما إنِ اقتربتَ منها حتى ولَّت مدبرةً؛ لأنها لم تجد مايسدُّ رمقَها في تحقيق مصلحة أو سداد أمر.

(١) المصدر نفسه ٤: ٢١٧

(٢) المصدر نفسه ٢: ٢١

(٣) البيان والتبيين ٢:٨٧

وقد يظنُّ صديق أنك تملك عصا موسى التي تلقف ما يأفكون؛ حتى تحقق له كلَّ مايتمناه، تريد مَن يفهمك بسهولة، ولا يضيّع السنين في الصدود عنك من جرّاء كلمة قد يفسرها كيف يرغب.

كثيرًا ما يخطئ الناس في التفريق بين الصديق الذي يكظم الغيظ، وبين الضَّعيف الذي لايستطيع الدفاع عن نفسه.

قد يراك الناس عطوفًا، وأنت في الحقيقة لا ترحم!، وقد يراك سعيدًا والحقيقة أنَّ الابتسامة مرسومة رسمًا فقط!، لكل إنسان جانب مُظلم وخفيٌّ.

كان حارثة بن بدر الغداني[1] فارسَ بني تميم، وكان شاعرًا أديبًا ظريفًا، وكان يعاقر الشراب ويصحب زيادًا، فقيل لزياد: إنك تصحَبُ هذا الرجل وليس من شاكلتك؛ إنه يعاقر الشرابَ، فقال: كيف لا أصحبه؛ ولم أسأله عن شيء قط إلا وجدت عنده منه علمًا، ولا مشى أمامي فاضطرني أنْ أناديه، ولا مشى خلفي فاضطرني أنْ ألتفت إليه، ولا راكبني فمسَّتْ رُكبتي ركبتَه. فلما هلك زياد قال حارثة بن بدر يرثيه:

أبا المغيرة والدنيا مغررة وإنَّ مَن غرَّت الدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة وكان عنك للتنكير تنكير

---

(١) حارثة بن بدر بن حصين التميمي، تابعي من أهل البصرة، وقيل: أدرك النبي - ﷺ -، له أخبار في الفتوح (تاريخ مدينة دمشق)، لأبي القاسم بن الحسن ابن عساكر، دار الفكر، تحقيق: علي شيري ١١:٣٨٩.

لو خلَّد الخير والإسلام ذا قدم إذا لخلَّدك الإسلام والخير[1].

قدِمَ حمزة بن بيض بن عوف راغبًا في صحبة ابن الوليد البجلي، فقيل له: إنَّ مثل حمزة لايصحب مثلك؛ لأنه صاحب كلاب ولهو. فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف. فقال فيه:

حشو قميصي شاعر مفلق ... والجود أمسى حشو سربالك

يلومك الناسُ على صحبتي والمسك ... قد يستصحب الرامكا

إنْ كنتَ لا تصحب إلا فتى مثلَك ... لن تؤتى بأمثالك

إني امرؤ جئتُ أريد الهدى ... فعُدْ على جهلي بإسلامكا[2]

(١) العقد الفريد ٣:٦٢

(٢) المصدر السابق ٣:٦٤

رِجيم

إنَّ إدخال الطعام على الطعام داءٌ، وقد نهى عنه الأطباء، ولو اكتفى الإنسانُ بالطعام الذي يكفيه ما تعرَّض للسمنة.

كثُر الحديث عن هذا الموضوع بشتى أنواعه، وتعددت المسمياتُ والعلة واحدة؛ رِجيم الماء، ورِجيم رمضان، ورِجيم النقاط والسعرات، وغيرها.

مقاييسُ الجمال عند أكثر الرجال هي الرشاقة؛ لذا نجد السعي الحثيث لإنقاص الوزن بكثرة عند النساء، فقد تشبعنَ من الحديث عنه دون التطبيق!

تذكر إحدى النساء أنها كل مرة تعزم أنْ تبدأ الرِجيم هذا الأسبوع، وكلَّ أسبوع تؤجل إلى الأسبوع القادم، ومضى عليها ستة أشهُر وهي في تأجيل دائم!

بينما أخرى تبادر وتبدأ الرِجيم ولكن لا تقاوم نفسها فسرعان ماتحس بالجوع حينها تبدأ بالتهام كل ماحولها من طعام، وأخرى تستمر في الرِجيم ولكنه يتلاشى في المناسبات؛ حيث تُبالغ في أكل الحلويات والشوكلاه وغيرها!

ومع ذلك، نجد التناقض العجيب في اجتماعاتهنَّ التي لا تخلو من عشراتِ الأصناف من الأطعمة، ناهيك عن «السَّلَطات» التي يدَّعين

عن طريقها أنهنَّ لا يتناولنَ إلا سواها، ولو شاهدتَ تلك السَّلَطات لوجدتَ كلَّ الخيرات الحسان متكدسة بها!، قطع اللحم متزاحمة مع قطع الخضار، تشاركها قطع الفواكه، ولا أدري كيف اجتمعا؟!

وبيدٍ طائشة تُمسك مايدعى (بالصلصة)! والتي صُبَّتْ صبًّا على تلك السَّلَطة حتى أصبحَت فجأة... مأدبة...!

وهنا تشرق الخضار بلمعة براقة من جرّاء صَبِّ الزيت الذي تجانس مع الحامض المحفز للأكل بنكهة الشواء الغريبة، فتنهض أوراق النعناع بخضرة بهية، حينها توشك أنْ ترى مكعبات الشمندر بحمرتها الساطعة التي تنافس لمعان حبات الذرة متساقط يمنة ويسرة من الطبق، فمن كثرتها تجاوزَت شرائح الطماطم والبصل التي وُزِّعَت في أنحاء الطبق، بينما تداخلَت أعواد البطاطس مع حلقاتِ الزيتون الأسود والأخضر، ثم رُشَّ الملح والفلفل كالسهم على ذلك الطبق الذي يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولو كان حيًّا لولّى هاربًا بعيدًا عنها!.

وهنا يتبادر في نفسها سؤال: هل شرائح الخبز المحمر التي تعلو السلطة من الدقيق الأبيض أمْ من البُرِّ الأسمر؟؛ فهو المفيد للرِجيم!

بعد الانتهاء من الصراع مع الأكل تجد أنها تحتاج إلى مضغ علك؛ حتى يهضم مايستطيع هضمه من تلك الجيوش الجرارة التي هجمَت مسرعة نحو المعدة، وتبدأ تنزعج وتشغل مَن حولها في حالة هيجان واستنفار بالبحث عن (علك) مشترطةً ومصرة بأنْ يكون خاليًا من السكر!

أفضل حمية غذائية أنْ نقلل من الأكل ولا نأكل حتى نحسَّ بالجوع، والأفضل من ذلك حديثُ الرسول - ﷺ - «ماملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يُقِمْن صلبه...».[1]

قيل لبقراط: مالك تُقلُّ الأكل جدًّا؟ قال: «إني إنما آكل لأحيا، وغيري يحيا ليأكل».[2]

قال رجلٌ من أهل الشام، لرجل من أهل المدينة: عجبتُ منكم!، إنَّ فقهاءكم أظرف من فقهائنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا قال: أو تدري من أين ذلك؟ قال: لا أدري. قال: من الجوع، ألا ترى أنَّ العود إنما صفا صوته لما خلا جوفُه[3].

أجود الأوقات للطعام: الأوقات الباردة، لجمعها الحرارة في باطن البدن، فأما الأوقات الحارة فينبغي أنْ يجتنب أخذ الطعام فيها؛ لأنَّ حرارة الهواء تجذب الحرارة الباطنة الغريزية إلى ظاهر البدن، ويخلو منها باطنه، فتضعف الحرارة في باطن البدن عن هضمه، فلذلك كان القدماء يفضِّلون العشاء على الغداء؛ لما يلحق العشاء من اجتماع الحرارة في باطن البدن، لبرد الليل والنوم؛ ولأنَّ الحرارة في النوم

---

(١) رواه الترميذي، وصححه الألباني، وسنده ضعيف (جامع الترمذي) ٥: ٣٤٣

(٢) العقد الفريد ٦: ٢٧٢

(٣) المصدر نفسه ٦:٣٢٨

تبطن وتسخن باطن البدن ويبرد ظاهره، واليقظة على خلاف ذلك؛ لأنَّ الحرارة تنتشر في ظاهر البدن وتضعف في باطنه.[١]

يضيع الناس بين أنواع الأطعمة؛ وأيهما أجود وأصلح للحمية؟!، والمتعارف عليه أنَّ الفواكه تؤكل بعد الطعام، وفي الآونة الأخيرة أصبح العكس!

وهناك أطعمة تفسد المعدة إذا لم يسرع انحدارها عن المعدة فهي أسرع إلى الفساد مثل: المشمش، والسمسم، والتوت،والبطيخ، فيجب أنْ تؤكل قبل الطعام والمعدة نقية.

قال أعرابيٌّ: كنتُ أشتهي ثريدة دكناء من الفلفل، رقطاء من الحمص، ذات حفافين من اللحم، لها جناحان من العراق أضرب فيها كما يضرب وليُّ السوء في مال اليتيم.[٢]

وقال رجل لأعرابي: مايسرني لو بتُّ ضيفًا لك؟ فقال له: لو بتَّ ضيفًا لي لأصبحت أبطن من أمك قبل أنْ تلدك بساعة.[٣]

---

(١) المصدر نفسه ٦: ٣٣٦

(٢) المصدر نفسه ٣:٤٨٧

(٣) المصدر نفسه ٣:٤٨٧

تواصلوا

وقد كنتُ أتواصل من غير أجهزة التواصل، ولم نكن نعرف للأجهزة شيئًا، نعتمد على تحديد المكان والوقت، نحترم الدقيقة والثانية في كلِّ أمورنا، ولم نكن ننتظر رسالة التذكير التي علمتْنا الاستهتار بالوقت.

أكثر الخلافات بسبب استخدام التقنية بطريقة عشوائية؛ مما يُضعف العلاقاتِ بين الأفراد وحتى الجماعات.

كثير من الناس كان سبب صدِّهم وإشاعة الكراهية بينهم خصومة عن طريق تقنية ما يُعرف (بالواتس آب) والتي تُشعر بوجود المتصل، فتتوقد نار الكراهية بين كثير من الناس بمجرد عدم الردِّ،! أمّا تقنية ما يعرف ب- (القروب) فهي أدهى وأمَرُّ!

تجمع مَن لا يريد الاجتماع، وترغم الاجتماع مع بعض الأشخاص الذين لا تربطك بهم صلة أو قرابة، تعيش مع الأشخاص شهورًا، أو قد تكون سنوات عدة.

أمّا الحالات التي تُكتب فهي خير مخبر عن طبائع الكثير من البشر، تكشف شخصيات الخلائق وسلوكياتهم، وعن طريق حالة واحدة تستطيع أن تقرأ شخصيته وتوجهاته، وأمورًا الله بها أعلم.

ومن المفارقاتِ العجيبة، إذا احتفيتَ بشخص ودعوته لوليمة للسمر والتسلية والسؤال عن الحال، لا تجد الأنس والمسرة بسبب كثرة الانشغال بوسائل التواصل الاجتماعي التي سيطرَت على أغلب البشر، ومع تلك المبالغة والاحتفاء الزائد أول ما يفاجئك به حين دخوله السؤال عن الشبكة!

لايستطيع أكثر الناس الاستغناء عن أجهزتهم، مُحدِّقين الأنظار في الأجهزة بدعوى أنها تُذهب الملل، وهي التي تجلب السأم، فقد جعلت حضورنا حضورًا جسديًّا فقط.

أصبحت هي الهدايا المتبادلة حتى للأطفال بعد أنْ كانت ألعابهم رمزًا لبراءتهم!

المكوث ليلًا ونهارًا على الأجهزة أضعفَ اللسان العربيَّ، فالمدمن على الأجهزة يفتقد الحوار ويفتقد طرقَ التحدث، فهو مشاهد قليل التحدث يعتمد على الاستقبال ليس إلّا.

كثرت الأمراض النفسية سببها الانسجام التامّ بين الأجهزة والخلائق، فالعزلة الطويلة والمكوث بين تلك الأجهزة يولّد الاكتئاب ويؤدي إلى أمراض جسدية.

اختلفت القيم الدينية والاجتماعية وتغيُّر الحال بسبب تفاعل العلاقاتِ بين أجهزة التواصل، والتنافر بين الأفراد والجماعات الذين التصقوا بالحوار والنقاش مع أناس لا يمتّون بصِلة للدين والخلق.

إنَّ ضعف الأسلوب عند كثير من الطلاب نتاجه النقل والنسخ، فالرسائل وخاصة منها الاجتماعية أكثرها منقولة ومستهلكة، حتى أصبحت بالية جدًّا بسبب كثرة التداول وخاصة منها رسائل المناسبات وغيرها.

أفقدت الأجهزة الذوق في الكلام واندثرَت سرعة البديهة التي تعلمك فنَّ الرد، وتأملوا ذلك في الصغار خاصة! لا يعرفون التعبير عن أبسط الأمور، تجدهم يلتزمون الصمت غير المحبب في كثير من المواقف التي تتطلب منهم الردَّ ومشاركة الآخرين.

نقاشات مملة، تحمل وجهات نظر ضعيفة، صورًا ساقطة وألفاظًا بذيئة بلا حياء أو خجل، جدلًا وأحاديث تصل مرحلة متدنية جدًّا من الأخلاق، عنصرية مابين حين وآخر، الخوض في أمور سياسة ليس لهم بها ناقةٌ ولا جملٌ.

جُلَّ الأحاديث في تقبيح الحسن وتحسين القبيح، السمينة تكتب في (القروب) عن الرشيقة والرشيقة تكتب عن السمينة، خلطات للتداوي، وأخرى للجمال نصائح فوائد ليس لها مصداقية أو حتى دليل يذكر.

إذ جمعتهم الكترونيًّا قلوبهم شتى، لا يوجد ضابط ولا رادع، الاستمرارية متزعزعة كلّ يوم يخرج شخص، ويدخل شخص آخر.

لا أنكر إيجابياتها ولكن سلبياتها طغَت، حسنّا القبيح وتركنا الحسن!

طاقة أُهدرت في غير مكانها وضلَّت طريقها؛ لذلك ينبغي الحدُّ من ظاهرة استهلاك الأجهزة من غير فائدة، والانشغال بها ليلَ نهارَ في صفحات لا تمتُّ للثقافة بصِلة، غير مبالين بوقت يُهدَر، وبجسد يرهق.

عندما كان الهاتف مقيدًا كنا أحرارًا، فأصبح الآن طليقًا حرًّا من غير أسلاك تربطه في مكان واحد، وأمسينا معه مُقيَّدين في كل أمر نراه ونسمعه!

قال الجاحظ: «صناعة الكلام علق نفيس، وجوهر ثمين، هو الكنز الذي لا يُفنى ولا يبلى، والصاحب الذي لا يملُّ ولا يقلى، وهو العيار على كلِّ صناعة، والزمام لكل عبارة، والقسطاس الذي به يستبين نقص كل شيء ورجحانه، والرواق الذي يعرف به صفاء كل شيء وكدره».[١]

قول الحارث بن هشام يعتذر من فراره يوم بدر، وهذا الذي سمعَه صاحب الهند رتبيل، فقال: يا معشرَ العرب، حسَّنتُم كلَّ شيء فحسُن حتى حسَّنتم الفرار.[٢]

قال آخر، وكان به برصٌ: «لا تحسبن بياضًا في منقصة إنَّ اللهاميم[٣] في أقرابها بلق[٤].

---

(١) العقد الفريد ١: ٨٥٢

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٣٥

(٣) واللهاميم: جمع لهموم، وهو الجواد السابق يجري أمام الخيل

(٤) والبلق: التحجيل إلى الفخذين

ذكر رجلٌ من القرشيين عبدالملك بن مروان، وعبدالملك يومئذ غلام، فقال: «إنه لآخِذٌ بأربع وتاركٌ لأربع: آخذ بأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، وبأحسن البشر إذا لقي. وتاركٌ لحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، ومماراة السفيه، ومصاحبة المأفون».[1]

(١) البيان والتبيين ٢:٤١٢

كنتُ أمزح!

نحتاج عقلانية أكثر في مزحنا، بعيدًا عن الإسفاف بالأخلاق، وجرح الآخرين، أو حتى تخويفهم.

وفي حكاية جرَت أحداثها حقيقة وليسَت من نسج الخيال، تحكي قصة شباب اجتمعوا في رحلة برية، وبينما هم يعدّون طعام الغداء أرادوا أنْ يمازحوا صديقهم الذي لم يحضر بعد، فاتفقوا أنْ يطلبوا منه حين حضوره أنْ يناولهم غطاء القِدْر الذي يطهون به طعامهم، بينما حفروا حفرة عميقة ودفنوا فيها أحدهم، ولم يظهر منه سوى رأسه ثم وضعوا غطاء القِدْر عليه.

حضر صديقهم، ومن الفور طلبوا منه رفع غطاء القدر، كانت المفاجأة مخيفة له جدًّا فأصيب بالهلع والخوف الشديد!

حينها انطلق يركض يمنة ويسرة دون وعي منه وصرخاته ملأتْ أرجاء المكان، وما كان منهم إلا أن انطلَقوا خلفه يُهدّئون من روعه، ولكن دون جدوى؛ فقد أصيب بانهيار عصبيٍّ ثم فقد الوعي، لم يستطيعوا السيطرة على الوضع فنقلوه إلى المستشفى، بينما ولّى عن الأذهان صديقُهم الذي دفنوه في الحفرة، فقد نسوه في غفلة منهم في أثناء انشغالهم بصديقهم.

عندما رجعوا وجدوه قد فارقَ الحياة، بسبب الاختناق؛ في الحفرة العميقة ولم يستطع السيطرةَ على ثقل الأتربة التي كانت تحيط بجسده، نقلوه إلى المستشفى، وكانت المفاجأة حضورَ الشرطة التي ألقَت القبض على مَن بقي منهم بتهمة القتل العمد.

غابت شمسُهم التي أشرقَت عليهم في تلك الرحلة البرية والممازحة الثقيلة التي لم يُحسَب لها.

وفي حكاية أخرى... أحد الأشخاص يمازح صديقه، فما كان منه إلا أنْ دفعَه إلى الخلف فارتد جسمه ثم هوى وسقط في في حفرة عميقة أردتْه ميتًا.

قال معاوية يومًا: يا أهلَ الشام، هل سمعتم قول الله - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قالوا: نعم.

قال: فإنَّ أبا لهب عمه.

فقال عقيل: فهل سمعتُم قولَ الله عز وجل: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾؟

قالوا: نعم.

قال: فإنها عمَّتُه.

قال معاوية: حسبُنا مالقينا من أخيك.[1]

رمي رجل أعور بنشابة، فأصابت عينه الصحيحة فقال: أمسينا وأمسى الملك لله.[2]

---

(١) البيان والتبيين ٢:٤٦٦

(٢) العقد الفريد ٦:٤٦٣

نظر أعرابيّ إلى رجل سمين، فقال: أرى عليك قطيفةً من نسج أضراسك.[1]

سُمع رجلٌ يطوفُ بالبيت، وهو يدعو لأمِّه، ولا يذكر أباه، فعوتب فقال: هذه ضعيفة، وأبي رجل يحتال لنفسه.[2]

رأى أعرابي رجلًا أنفُه كأنه كوزٌ من عِظَمِه، فرآنا نضحك منه، فقال: مايُضحككم؟! فوالله لقد كنتُ في قوم ماكنتُ فيهم إلا أفطس.[3]

قال: وجيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته، وهو يقول: هاؤُمُ اقرؤوا كتابيه

فقيل له: يقال هذا يوم القيامة.

قال: هذا والله شرٌّ من يوم القيامة، إنَّ يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.[4]

---

(١) المصدر نفسه ٣:٤٨٠

(٢) الكامل: ١:٤٣٧

(٣) العقد الفريد ٣:٤٨١

(٤) المصدر نفسه ٣:٤٨١

البنات

كراهيةُ الأنثى أمرٌ أزليٌّ، وهو شعور بغيض تجاهها؛ فكثير من الآباء لم يرضوا بما قسمه الله لهم من بنات.

استبشَر الرسول - ﷺ - لمولد فاطمة (رضي الله عنها) وقد كانت البنت الرابعة، وفي ذلك قدوة لنا.

وبالرغم من تفوُّق الأنثى في مجالات عدة، وسمُوها في كثير من المجتمعات والبيئات، إلا أنَّ الرغبة موجودة وكامنة في حبِّ الذكور.

تحدُث حالات طلاق، وغالبًا مشاكل زوجية، بسبب إنجاب الإناث، بينما يجهل الكثير من الناس أنَّ إنجاب الإناث أو الذكور هبة من الله تعالى، ويظنون أنَّ المرأة هي المسؤولة عن تحديد الجنس، في حين تؤكد دراساتٌ طبية أنَّ الرجل هو المسؤول عن تحديد جنس الجنين.

وقد وردَت أدلة كثيرة تحثُّ على الإحسان إلى البنات، وتؤكد على أنَّ السعي في تربيتهنَّ طريق إلى الجنة، ونيْل الأجر العظيم.

هجر أبو حمزة الضبي[1] خيمة امرأته، وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدَت امرأته بنتًا، فمرَّ يومًا بخبائها وإذا بها ترقِّصُها وتقول:

---

(١) كنيته أبو عمر يعتبر من الطبقة الرابعة من رواة الأحاديث ولد في نيسابور سنة ٣٢١ (أعلام النبلاء ٢: ٣٤٤).

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أنْ لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذما أعطينا ... ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا[١]

فغدا الشيخُ حتى ولج البيتَ فقبَّل رأسَ امرأته وابنتها.

وقال آخر في إنجاب البنات:

عفاريتا عليَ وأكْل مالي ... وحِلما عن أناس آخرينا
فلو كنتم لكيسة[٢] **أكاست**[٣] **... وكيسُ الأم أكْيسُ للبنينا**[٤]

قال أعرابي: لما عزمتُ على الخروج فكرتُ في بناتي، فقلتُ ذات ليلة: لأمسكنَّ عن نفعهنَّ حتى أنظر، فلما كان في جوف الليل استسقَتْ بُنيَّة لي، فقالت: يا أبتي، فلم أجبها، فأعادت، فقامت أُخيَّة لها أسَنَّ منها فسقتْها، فعلمتُ أنَّ الله – عز وجل – غير مضيعهنَّ، فأتممتُ عزمي[٥].

كان أبو الأصبع العدواني يحب بناته ويغار عليهنَّ، وكان له بناتٌ أربع لم يزوجهنَّ، فاستمع عليهنَّ يومًا، وقد خلونَ يتحدثنَ.

---

(١) البيان والتبيين ١:١٨٥

(٢) الكيسة: العاقلة اللبيبة

(٣) أكاست: ولدت الكيسى

(٤) البيان والتبيين ١:١٨٤

(٥) الكامل ٣:١١٨١

فقالت قائلة منهنَّ: لتقُلْ كل واحدة منكنَّ مافي نفسها، ولنصدُقْ جميعًا!

فقالت كبراهنَّ:

ألاليتَ زوجي من أناس ذوي غِنى حديث الشباب طيّب النشر والذِّكر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جان لايقيم على هجر

فقلن لها: أنت تريدين غنيًّا شابًّا.

وقالت الثانية:

ألاليتَه يعطي الجمال بديهة له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكماتُ الدهر من غير كبرة تشين فلافان ولاضرع غمر

فقلنَ لها: أنت تريدين سيدًا.

فقالت الثالثة:

ألاهل تراها مرة وحليلها أشم كنصل السيف عين المهند
عليمًا بأدواء النساء ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلنَ لها: أنت تريدين ابن عمّ لك.

وقلن للصغرى: ماتقولين؟

فقالت: لا أقول شيئًا، فقلن: لاندعك وذاك، إنكِ اطَّلَعتِ على أسرارنا وتكتمين سرَّكِ!

فقالت: زوجٌ من عود خيرٌ من قعود!

فخُطبنَ فزوجهنَّ جميعًا، ثم أمهلهنَّ حولًا، ثم زار الكبرى..

فقال لها: كيف رأيتِ زوجك؟

قالت: خير زوج؛ يكرم أهله، وينسى فضله.

قال لها: فما مالكم؟ قالت: الإبل.

قال: وما هي؟ قالت: نأكل لحمانها مزعًا، ونشرب ألبانها جرعًا.

فقال لها: زوج كريم ومال عميم.

ثم زار الثانية..

فقال لها: كيف رأيتِ زوجك؟ قالت: يُكرم الحليلة، ويقرب الوسيلة.

قال: فما مالكم؟ قالت: البقر.

قال: وما هي؟ قالت: تألفُ الفناء، وتملأ الإناء قال لها: رضيتِ وحظيتِ.

ثم زار الثالثة..

فقال لها: كيف رأيتِ زوجك؟ فقالت: لاسمحٌ بذر ولا بخيل حكر.

قال: فما مالكم؟ قالت: المعزى.

قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نولدها فطمًا، ونسلخها أدمًا، لم نبغ بها نعمًا.

فقال لها: جذوٌ مغنية.

ثم زار الرابعة...

فقال لها: كيف رأيتِ زوجك؟ فقالت: شر زوج؛ يكرم نفسه، ويهين عرسه!

قال لها: فما مالكم؟ قالت: شر مال: الضأن جوف لايشبعن.[1]

(١) المصدر السابق ٢:٦٢٨

الذِّكر

في أحيان كثيرة تغبر سماؤنا وبالاستغفار تصفو، ومرارًا ما أجدبَت أرضنا وبالذِّكر تصبح يانعة خضراء.

تكررَت آيات الذكر كثيرًا في القرآن الكريم؛ لعظيم أمرها، وعلو شأنها، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]

حثنا ديننا الإسلاميُّ على الذكر في كلِّ يوم وفي كلِّ ليلة، بينما نعيش في غفلة حقيقية؛ فقد أوتينا نعمًا لا تُعد ولا تُحصى، ننسى شكرَها، ثم ننسى ذكرَ الله فيها.

لو أشغلنا مجالسنا بالذكر، واستفدْنا من الساعات الطويلة التي نقضيها في زحام الطريق بالاستغفار، لكانت قلوبنا مطمئنةً دائمةَ الاتصال بالله تعالى.

جاء شابٌّ إلى حكيم فقال له: إنَّ في نفسي ذئبيْن يتصارعان؛ أحدهما يدعوني للخير، والآخر للشر، فقال الحكيم: سينتصر الذي تُطعمه.

ذكر الله يرتقي بالإنسان في مراتب عليا، فعندما يردد الإنسان أدعية مأثورة عن النبي - ﷺ - أو يسبح أو يستغفر، كلُّ هذا خيرٌ من أنْ

(١) سورة الأحزاب: ٣٥

يضع نفسه في أسفل السافلين، أو أنْ يقع في مناقشات ومجادلات لا نستفيد منها سوى غبار المعارك.

ذِكر الله يوجه ريحَك حيث شئت ويعلمك درسًا مهما قست عليك الحياة، فلابدَّ من لحظة الوصول التي اعتبرتهافي يوم من الأيام لحظة اليأس.

لا يستطيع العالم الذي تراه عظيمًا أنْ يمسك عنك مكروها قدره الله لك، ولكن ذكر الله والتوجه له بالدعاء من الممكن أنْ يمسك عنك سوءًا كبيرًا.

يقول ابن القيم: "والله إنَّ المسألة تغلق في وجهي فأستغفر الله ألفَ مرة؛ فتفتح في وجهي".

ومهما اجتمع عندك الخلائق وجبروا لك كسرًا أو واسوك، ووضعوا السعادة في كفة والأمل في كفة، تبقى الحقيقة المؤلمة: طينٌ يأوي إلى طين.

لا يلمُّ شتاتك إلا خالقك، ولا يغفر زلة ضقتَ بها أمام الناس إلا خالقك، وعندما يزاحمك البشر لايوسع لك ولا ينجيك إلا خالقك، ومهما تحدَّث الناس عنك وشبَّهوك بالجواد فلن يقوّم الكبوة إلا خالقك.

واعلم أنَّ هناك مَن يكره تقدُّمك للأمام؛ فلا تحزن! فالله يقسم لك من الرزق مايشاء، وهناك مَن يكون قريبًا لقلبك لكنه يحب أنْ تكون

دائمًا خلفه، حينها لا تذهب نفسك حسرات، فذكر الله يُسعدك ويدفع بلاء قد سيق إليك.

قد تجد نفسك لم تحقق شيئًا، لكنَّ ذكر خالقك يجدد فيك العزيمة والأمل، وقد لا تفهم إلا في اللحظاتِ العصيبة.

مهما قسى عليك البشر ابتسم فأنت تتنفس، وتسبح في أرض الله، تبصر زرقة السماء، وتقطف من خضرة الأرض.

كان الحجاج إذا استغرب ضحكًا والى بين الاستغفار، وكان إذا صعد المنبر تلفَّع بمطرفه، ثم تكلم رويدًا فلا يكاد يسمع ثم يتزايد في الكلام، حتى يخرج يده من مطرفه، ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى مَن في المسجد، وكان يُطعِم في كل يوم على ألف مائدة ثريدًا وجنبًا من شواء وسمكة طرية، ويطاف بها في محفَّة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل، والآخر يسقي اللبن[1].

قالت هند بنت المهلب بن صفرة[2]: إذا رأيتُم النعم مستدرةً فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال[3].

---

(١) الكامل ١:٣٩٧

(٢) هند بنت المهلب بن أبي صفرة، تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد كانت امرأة عاقلة حصيفة، (أعلام النساء، عمر رضا كحالة ٥: ٢٥٤).

(٣) الكامل ١:٣٩٤

يمرُّ أحدنا بكرب عظيم، وفي ذلك الحين يسأل الله داعيًا مستغفرًا فيستجاب له، وسرعان ما يحدث الجحود والنكران ويعود الإنسانُ كما هو عليه من المعاصي، في حين أنَّ الله - سبحانه - غنيٌّ عن الإنسان وطاعته.

تصاب بالقلق والاكتئاب، وإذا ذكرتَ خالقك ولّى كل شيء، فمن الذكر أنْ تذكر آيات الله الكونية، ومن الذكر أنْ تذكر نعمَ الله الظاهرة والباطنة، الذكر وصية عظيمة من الرسول - ﷺ - يفتح أبوابًا كثيرة قد أُغلقَت.

من الممكن أنْ يمرَّ علينا يوم كامل من غير قراءة، ولو آية من القرآن الكريم فيصبح يومًا كئيبًا ليس له أيُّ رونق، ولم نعُد نخشى البذخ في الموائد، أوحتى نشفق على البائس، لا نعرف للخوف طريقًا؛ فالأمن مستتبٌّ من حولنا.

ننعم بالصحة والعافية الدائمة فغفلنا عن الشكر والحمد حتى وصلنا مرحلة مخيفة فلم تعجبنا أشكالنا لذلك تزاحمنا على مراكز عمليات التجميل.

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: العجب لمن يهلك والنجاة معه، فقيل: ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفارُ.[1]

لا تجعلوا من هموم الأمس حاجزًا وهميًّا عن الدعاء، ارفَعوا أيديكم وادعوا الله سرًّا وجهرًا أنى شئتم!

ابتسموا ولا تحزنوا فالله معنا ولن يخيّبنا. وتذكر إنك مودعٌ وذاهبٌ إلى حيث يممتَ لك طريقًا في صلواتك.

---

(١) المصدر السابق ١:٣٩٤

جفافٌ

يتناقل أكثرُ الناس أحاديث وحكايات عن مواقف الجفاف العاطفيِّ، فالحياة بمتطلباتها تُنسي الزوجين تبادُل الحنان والعطف والمودة.

أثبتَت الدراسات مؤخرًا أنَّ المرأة التي تشرب القهوة كثيرًا لديها نقص عاطفيٌّ أكثر من التي تشربها باعتدال.

يقولون في الأدب: المرء ابن بيئته، فالبيئة الصحراوية انعكسَت على أبنائها بغبارها المنهمر وحرارة طقسها، فولدَت الجفاف وأعانت عليه.

وحين نفتش بين جنبات طبائعنا النفسية نجد نفوسنا تهنأ بسماع الكلمة العذبة، تأنس بالهدوء، تنتظر ظلمة الليل للسهر، تسعد بخيوط الفجر، تشتاق لحمرة الغروب.

روى أحد الأشخاص وهو موظف في الجوازات من أطرف المواقف التي مرَّت عليه قائلًا: جاءني أحدهم يراجع معاملة له وكانت تظهر عليه علاماتُ الغضب وفي يده أوراق لزوجته، وكان من بينها صورة لها، فما كان مني إلا أنْ وضعتُ الأوراق على الصورة أدبًا وذوقًا، نظر لي متجهمًا قائلًا: (عادي تراك أزين منها!). علَّق الكثير على هذه الحادثة متَّهِمين الزوج بالجفاف العاطفيِّ، وقليل منهم اتهم الزوجة.

الكثير من النساء ممَّن يتأثرن بمشاهدت الأفلام فتتخيل زوجها أنه شبيهُ بطل في الأفلام الرومانسية، وإذا خالف الأمر ذلك وجدت نفسها تندب حظَّها وبحرقة مميتة.

قبل سنوات كانت الأفلام الهندية هي الطاغية ولها الغلبة، ثم جرت السنون فكشفت لنا عن الأفلام التركية والحال سواسية كأسنان المشط، كان الناس وما زالوا تحت وطأتها سواء هندية أو تركية من جرّاء الجفاف العاطفي فقد كانت طريقة المشاهدة والمتابعة أليمة جدًّا، فبكوا معهم على مَن مات وحزنوا مع حزنهم، وضحكوا مع ضحكاتهم وعاشوا معهم تجارب الفراق والألم.

تستطيع كل زوجة أنْ تعيش قصة عشق مع زوجها وتتغلب على طبائع البيئة وتتعلم ثقافات عدة تقضي لحظاتٍ جميلة في بيتها، فتصبح بطلةً في حياتها أو على الأقل مع نفسها، تربطهما علاقة حب بعيدة عن الغدر والخديعة.

ويستطيع كل رجل أنْ يسكن مع زوجته بهدوء الحياة وكنف العطف والحنان، وقد تفرِّقُ بين الزوجين أمور شتى، عندها تضيع كل اللحظات والصور الجميلة فينقلب الحب بحرًا تضيع في أعماقه، وقد تغرق فلا تجد طوق نجاة فيحدث الجفاف العاطفيُّ.

تقول إحدى الصديقات: كتبتُ في يوم من الأيام أبياتًا شعرية نقلتُها، ووضعتُها في جيب ثوب لزوجي في وقت الصباح قبل خروجه للعمل:

أبكي إذا غضبت حتى إذا رضيت ... بكيت عند الرضا خوفًا من الغضب

فالموت إنْ غضبت والموت إن رضيت ... إنْ لم يرحني سلوُ عشت في تعب[1]

كانت المسكينة تنتظر بشغف أصدق التعبيرات، وتخيلَت شكرًا وثناء ومشاعر جياشة تغمرها بعد كدها وتعبها في تنظيف المنزل واللهث المتواصل وراء الأبناء. رجع في آخر النهار لم تجِدْ منه ردة فعل ولو ابتسامة متواضعة، فسكتَت باعتباره متعبًا ومرهقًا من العمل، أخذَت تعدُّ الدقائق والساعات حتى يستيقظ من نومه العميق، ولكن دون جدوى حتى طال انتظارها فهي بحاجة لكلمة شكر كما توقعت. فقررت حينها أن تسألته، فقالت بتعجب: ألم تجد شيئًا في جيبك؟! ألم تقرأ الأبيات الشعرية؟!

فقال: بلى، وقد جلستُ مع أصدقائي نتراهن في العمل على مَن يكرر البيت عشر مرات مقابل عشاء دسم لمن يستطيع فما استطعنا! ليتك تخبريني المرة القادمة إذا كتبتِ حتى أتمرس على قراءة الأبيات لأكسب الرهان!

لا تتوقعي أنْ يأتيك دائمًا بباقة ورد ولا تنتظري هديةً كل سنة أو حتى تتوهمي بها! اهتمّي بنفسك لنفسك، لا تجعليه دائمًا مثار اهتمامك.

ثلاثة يجب مداراتهم: السلطان، والمريض، والمرأة.[2]

---

(١) زهر الآداب ٢:٨٦٣

(٢) المصدر نفسه ٢:٨٦٣

وصف أعرابي امرأة يحبها فقال: هي زينةٌ في الحضور، وباب من أبواب السرور، هي أشهى إلينا من كل ولد ونسيب، وبها عرفتُ فضل الحور العين، واشتقتُ بها إليهن يوم الدين[١].

تزوَّج أعرابيٌّ امرأة، فطالت صحبتها له فتغيَّر لها، وقد طعَنا في السن، فقالت له: ألم تكن ترضى إذا غضبتُ، وتعتب إذا عتبتُ، وتشفق إذا أبيتُ، فما بالك الآن؟ قال: ذهب الذي كان يصلح بيننا[٢].

أكثر الخلافات تنشأ بسبب الماديات؛ فليس من الضروريِّ أنْ يمدَّ لك مالًا مادمتِ موظفةً، فلا تكوني أنانية تأخذين ولاتعطي، وليس من الضروري أنْ تسافري كما تسافر صديقتك، وتناسي كثيرًا من المجاملاتِ التي تنتظرينها كي تستمر الحياة، لاتشترطي ابتسامته في كل الأحوال، لا تُعلّقي نفسك وسعادتك دائمًا بالآخرين.

حاولي أنْ تأخذي كل الأمور بإيجابية مهما ضاقت تنفرج ومهما تعسَّرَت تنحلُّ، فكّري في نفسك فكل شيء يسير ويُعوّض، إلا صحتك ونفسيتك.

كم هو جميل الهدوء في البيت مهما كانت العواصف، لا تزمجري أو حتى تهتمي كثيرًا لغيابه أو زلاته فالغياب يبعث الاشتياقَ، والبحث عنه من الممكن أنْ يزعجك أو حتى يقلقك، والنقد اللاذع يُولّد الجفاء، واعلمي أنَّ كثيرًا من العيوب تحتاج وقتًا طويلًا لتصحيحها.

---

(١) المصدر نفسه ٢:٩١٦

(٢) العقد الفريد ٣:٤٧٣

كلُّ إيجابية تغرسينها في زوجك تعود لك ولأسرتك مهما كانت، ابعثي فيه الثقة والاعتزاز بنفسه، والخطأ تجاهليه، افخري به ولو على مسمعه؛ فتلك الأمور مدعاةٌ للمحبة والوئام.

لابُدَّ من النظر للحياة بسعة ونظرة رضى، اكسبي كلَّ لحظة للحياة بتأمل ومتعة.

لا تَصِلي لمرحلة تضحية عميقة، اصنعي أمورًا لأجلك، وليس كل ما تصنعينه لأجل الزوج والأولاد تعلمين وتساعدين وتعطين! ثم تحتاجين نفسك فلا تجديها، فقد ولَّتْ في غياباتِ الجب!

ثقّفي نفسَك على العطاء بحدود لأولادك ولزوجك؛ حتى لايكونوا نقمة عليك يولدون لك الانفعالات والضغوط النفسية، فكلُّ غضب يقتل في دماغ الإنسان آلاف الخلايا التي تؤثر على جسده.

ليس كل الحياة زوجًا وأولادًا، اكسبي كل لحظات الدنيا بنظرة جميلة مهما كان الواقع مُرًّا،كل ذلك من أجل نفسيتك، ومن أجل أحاسيسك فأنت كتلة من المشاعر الدافئة الحانية.

المدينةُ المثاليةُ

قضَت سنواتٍ طويلة في العمل؛ ما يقارب عشرين سنة، وما كنتُ أعرف منها إلا الابتسامة، كان أبعَدَ ما تطمح إليه أنْ تنشر الابتسامة أمام الجميع في كلِّ الاتجاهات، وأيّ اتجاهات يا ترى؟! فهي أمام فئة ليسَت بالهينة مابين ساخر وضاحك ومستهتر في العمل.

لم يكن سهلًا أنْ تبتسم في وجه كلِّ موظف، ومع ذلك نجحَت في تحقيق الابتسامة التي لم تكن تفارق محياها منذ أول ساعة في الدوام، وحتى آخر ساعة فيه.

وقد كنتُ أخجل من نفسي حين أشتكي لها من موظف هضم حقي مقابل سكوتي عنه! وأشتكي لها من صديقة اتخذتُها أختًا فطعنتْني بظهري من غير سابق إنذار.

تذكرتُ حين كنتُ أقول لها: الصامت يُهضَم حقُّه، فقالت: بل المتحدث يشقى من الحديث ولا يأخذ ما يأخذه الصامت، كلّ شيء مكتوب له أجل، وكلّ رزق سوف يأتي شئنا أمْ أبينا.

(فليكن السكوت على لسانك، إنْ كانت العافية من شأنك، فكفى بالتجارب تأديبًا، وبتقلب الأيام عظة، وبأخلاق مَن عاشرت معرفة، وبذكرك الموت زاجرًا. فإنَّ احتمال الصبر على لذع الغضب أهون من إطفائه بالشتم والقذع)[1].

(١) الكامل ٢:٢٢٨

قالت لي مرة : الإنسان يتعامل مع الناس بأخلاقه ولايتعامل معهم بأخلاقهم، فإذا كنتَ تحب الإحسان فأحسن للناس يأتوك طوعًا، وإذا مسوك بضر فلا تصرف لهم ضرًّا؛ فالله أرحم الراحمين، الألفة والمحبة بين القلوب نعمة عظيمة يفتقدها الكثير،ويشعر بحلاوتها كلُّ مَن يحبُّ الخير للناس، فليس هناك حبٌّ آخر كحبِّ المرء لأخيه.

كانت تتحدث دائمًا بأنَّ الاجتهاد في العمل ليس بتقديم إيجابياتك إلى مديرك فأمانتك في العمل هي التي تكشف كل شاردة وواردة، بل البراعة الحقيقية ماذا قدمتَ لعملك، وكيف تغلبتَ على تقصيرك، وهل أرضيتَ ضميرك بما قدمتَ؟!

ولم يكن سهلًا أنْ تجتهد في العمل وتشق أنفاسك، ولا تجد مقابلًا وفي ذلك الحين لم يكن يهمها سوى أنْ تُقدم وتعطي، ولا تُرخي سمعًا للمقابل المنتظر.

كانت تشفق على مَن يحملون الهدايا للمدير غدوا فريحين بما أتوا به، وعشيًّا يبكون لأنهم لم يصلوا لما أرادوا، ولم يسيروا في أرض الله بنزاهة.

والأصعب مَن يغلق مكتبه وحشودٌ من الناس تسأل عنه، بينما هو غارق في نومه غير مُبالٍ بما تقتضيه الأمانة في العمل، ليس همه سوى مايتقاضاه آخر الشهر!

وتتعجب كثيرا من فئات الموظفين الذين يخلطون بين الصداقة في العمل وترشيح المناصب، وأكثر تعجُّبها من الصديق الذي يضحك في وجهك ويضعف من شأنك عند الآخرين كي ينازعك على منصب أو رئاسة من خلفك.

وتعجبت ممن يشتريك بالكلام اللين أمام الخلائق، وإذا انفرد بك انقلب كالوحش الكاسر كأنه لم يعرفك، وضحكت على مَن يجالسك ويقضي معك ساعات، وإذا شاهد مَن يعلوك منصبًا فزع إليه غير مبال بك!

ذهبتُ إليها كما كنت أذهب كل يوم، فإذا المكاتب قد تبدلتْ! أصبح وجهي شاحبًا بالدهشة والحيرة، لا أدري لماذا توجَّستُ خيفة! الفزع أوقفني قليلًا، أخبرني مَن يجاورها أنها استقالت عن عملها.

حينها تذكرتُ كيف احتوتْني حين قدمتُ للعمل، فلم يكن لي مكان خاصٌّ على اعتبار أني حديثة عهد بالعمل...هكذا فهمتُ!

كانت تستقبلني كلَّ يوم في مكتبها حتى اتصل الودُّ بيننا وتوثقَت المعرفة، وتعاطيتُ كثيرًا من أسلوبها، أصبحَت صديقة لي وأختًا بالرغم من فارق السنِّ الذي بيننا، لم أكن حينها أنظر إلى هذا الأمر لأني وجدت نفسًا جليلة، كريمة في الفعل وفي القول، عاشت تجاربَ شتى من كرِّ الليالي، تعلمتُ منها أشياء كثيرة في العمل، كلما ملكتُ أمرًا من نصائحها لم أخسره في حياتي.

لن تمحو الأيام ذكراها كنت أتمنى أنْ تجالسني أكثر فأكثر، ولكنَّ الله أراد غير هذا.

أنشد أعرابي:

وإذا أظهرت أمرًا حسنًا فليكن منه ما يسرّ
فمُسِرُّ الخير موسومٌ به ومُسِرُّ الشر موسومٌ بشرّ[1]

(١) البيان والتبيين٢:٥٣٦

وقال آخر:

أرى الناس يبنون الحصون وإنما غوائل آجال الرجال حصونها

وإن من الأعمال دونا وصالحا فصالحها يبقى ويهلك دونها[1]

وقال الحسن رحمه الله: (من كان قويًّا فليعتمد على قوته في طاعة الله، ومَن كان ضعيفًا فليكفّ عن معاصي الله)[2].

وقال عليٌّ بن أبي طالب: (لاتكن كمَن يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادةَ فيما لابقي، وينهى الناس ولا ينتهي)[3].

(١) المصدر نفسه ٢:٥٣٦

(٢) المصدر نفسه ٣:١٨٠

(٣) الكامل ٢:٣٢١

الطامحون

لستُ من الذين بحثوا عن السعادة، فقد تعودتُ وآمنتُ أنَّ البحث يعصب عيني عنها، تركتُها فأتت عارضة بلا موعد، أحيانًا تمكث ساعاتٍ وأحيانا أعوامًا، وفجأة تولّي هاربة، ومراتٍ كضيف ننتظر وصوله فيعتذر.

روعة الحياة بالشيء الذي يأتيك بعد عناء وجهد، وكذلك السعادة لا تأتي إلا بالمشقة والصبر.

لا تترك أجواء الصباح فهي سعيدة حالمة، يأتيك سرورٌ مع بزوغ الشمس، ويأتيك سرورٌ مع تغريدات عصافير وبلابل، اترك النومَ العميق وقت الصبح؛ فهو مدعاةٌ للكسل والخمول، تعرَّفْ على خيوط الشمس التي قالوا عنها ذهبية.

جرّب واترك سفاسف الأمور، لا تتدخل فيما لا يعنيك لا من قريب أو بعيد، اترك الخلقَ للخالق، اصمت فالصمت حكمة، ولاتسأل عن كل شيء؛ فجُلُّ الأسئلة فضول ولاتضيف لك شيئًا، وإذا تحدثتَ فأوجِز حتى تكون خفيفًا على السامع؛ فالأحاديثُ الطويلة مملة ومضيعة للوقت، وماالبلاغةُ إلا الإيجاز.

لاتحزن على أمر لم تقدمه بالحسرة والندم ولم تنل منه شيئًا، بل احزن على ماذا سوف تقدم غدًا، وإذا تألمتَ فكن حكيمًا مع ألمك، واجعله درسًا قاسيًا عليك بشدة حتى تنجز وتعي مافعلتَ.

اكسب الناس بأخلاقك بابتسامة صافية، ولا تذكُر أحدًا إلا بخير؛ فذلك سعادةٌ لك دون غيرك، فحديثُك عن الآخرين بشرٍّ أو خير مساومة بيد الزمن.

احذر أنْ تعذِّبَ شخصًا ما باتهام باطل، واحذر مئة مرة من دعاء مظلوم ساجد، لستَ مخلدًا في هذه الحياة حتى يكون لك سلطانٌ على غيرك.

دلل نفسك ما استطعتَ؛ فإنَّ لنفسك عليك حقًّا، لاتعبث في مشاعرك وتفكر بحزن ألمَّ بك فجأة، أو تتمنى فرحًا طال بك أيامًا.

لا تعِش في خيال ألف ليلة وليلة كثيرًا؛ فالخيال ظِلٌّ يُلاحقك ويلازمك في وقت معين، لكنه يبقى مُظلِمًا، ربما سعدتَ صباحًا، وتكدرتَ مساءً، وما السعادة إلا حكاية جميلة ثم تنتهي.

اهتم بنفسك ما استطعتَ، وقلّب صفحات يومك، ابحث عن السرور من أجل نفسك، لاتنسَ نصيبك من الحياة، كافئ نفسك بعد الشقاء ولو بكوب من القهوة، لا تُقصِّر في إعداد أسباب السعادة والراحة لنفسك.

الخلوة والهدوء من أقوى أسباب السعادة لا مكدّر ولا مشتكي ولا مرائي ولا حاسد، ولو كان لمخالطة الناس في الحزن أثر لما تولّى

يعقوب عنهم، أما إذا سمعتَ صوتًا عذبًا يبعث الأمل والروح في الحياة فاخرج وافتح الباب على مصراعيه بقوة، واستقبِل مَن أردتَ بصوت عالٍ، واشرح صدرك، فذلك من أسباب السعادة.

املأ نفسك فرحًا؛ فالحياة قصيرة، والشيب نغماته سرعان ماتبدو مسموعة ومزعجة، فهو نذير شؤم يُخبرك بقرب المنيّة.

احذر أنْ تتحدث بكل ما يُسعدك، فهو لا يُسعد غيرك، ولو كان في البوح فرجٌ لما نذرَت مريم أنْ لاتكلم اليوم إنسِيًّا!، ولاتذكر سلبياتك التي تشعر بها للآخرين مهما كانوا، فهناك مَن يرمق النظر في العيوب ويجعل الثغرات فجواتٍ لاتُسَدُّ، ويتسع الخرق على الراقع.

لا تحلّل الأمور كما ينبغي لتفكيرك وإحساسك، فنصف القلق الذي ينتابنا بسبب اعتبارات لم تكن وما كانت، وقد تُرهق نفسك بالعتاب والشجار مرات عديدة ولو كان للعتاب نتيجة لما أسرَّها يوسف في نفسه.

تعلّم حُسن الظن بالله وتحسَّسه في حياتك يمنة ويسرة؛ تجد نفسك تشعر بالسعادة، واتبتعد عن القلق الذي يميتك، واجعله درسًا في الحياة تحسُن ممارسته حتى تتقنه بتفوُّق أمام خيبات الأمل، فالذي يمارس القلق سوف يتقنه ويقلق من غير سبب، والذي يخاصم تجده كلَّ يوم يبحث عن خصومة يشفي بها غليله.

ابتعِد عن مَن يحسبك طبيبه النفسي ويشكو لك ليلا ونهارا، فقد تتوهم وتعيش الأجواء القاهرة معه، وتحسب نفسَك حكيمًا تداويه، حينها لا تجد

راحة البال، وتصبح ملاذَه في كل شكوى، ويصير لقاؤك به لقاءً مرًّا، وقد تتعاطى شيئًا من أسلوبه في الحياة، فتجد نفسك محطمًا قلقًا بسبب التفكير في مشكلة هذا وذاك، حينها تشتاق لنفسك فلا تجدها فقد تاهت في زحام الحياة، تحاول الرجوع دون جدوى فقد عكر صفو ودادك ذلك الشاكي، وربما المياه تعود لمجاريها لكنها غير صالحة للشرب، المتعة في الحياة أنْ تعيش على طريقتك.. وليس على طريقة الآخرين.

يقول العتابي: «المداراة سياسة رفيعة تجلب المنفعة، وتدفع المضرة، ولا يستغنى عنها مِلِكٌ ولا سوقة، ولا يدع أحد منها حظَّه إلا غمرتْه صروفُ المكاره»[1].

ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء إلا وهو مولدٌ أذى وحزنًا، كالماء المالح الذي كلما ازداد له صاحبه شربًا ازداد عطشًا، وكالقطعة من العسل في أسفلها سُمٌّ للذائق، فيه حلاوة عاجلة وله في أسفلها سُمٌّ زُعاف، وكأحلام النائم التي تسرُّه في منامه، فإذا استيقظ انقطع السرور، وكالبرق الذي يضيء قليلًا، ويذهب وشيكًا، ويبقى صاحبه في الظلام مقيمًا[2].

قال عمرو بن عتبة: لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي: يابني، قد تقطعَتْ عنك شرائع الصِّبا فالزم الحياء تكُنْ من أهله، ولا تزايله فتبين منه، ولايغرنك مَن اغترَّ بالله فيك فمدحَك بما تعلم خلافه من نفسك، فإنه مَن

(١) زهر الآداب ٢:٩٩١

(٢) المصدر نفسه ٢:٩٩٢

قال فيك من الخير مالم يعلم إذا رضي، قال فيك من الشر مثله إذا سخط، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غبِّ عواقبهم[1].

قال عروة بن أذينة:

وقد علمتُ وخير القول أصدقه بأنَّ رزقي وإنْ لم يأت يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلُّبُه ولو قعدتُ أتاني لايعنيني[2]

وقد وفد عروةُ بن أذينة على عبدالملك بن مروان في رجال من أهل المدينة، فقال له عبدالملك: ألستَ القائل ياعروة؟: أسعى إليه فيعييني تطلبه؟ ما أراك إلا قد سعيتَ له، فخرج عنه عروة وشخصَ من فورِه إلى المدينة. فافتقده عبدالملك، فقيل له: توجَّهَ إلى المدينة، فبعث إليه بألف دينار فلما أتاه الرسولُ قال: قُلْ لأمير المؤمنين: الأمر على ماقلتُ، قد سعيتُ له، فأعياني تطلُّبُه، وقمتُ عنه فأتاني لا يعنيني[3].

وكان محمد بن الزيات[4] يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء، فسأل عن ذلك، فقال: مؤونة التحفظ شديدة.

---

(١) العقد الفريد ٣٢:١٤٩

(٢) المصدر نفسه ٣:٢٠٢

(٣) العقد الفريد ٢:٢١٣

(٤) محمد بن عبدالملك الزيات، عالم باللغة والنحو والأدب، توفي قتيلاً في سنة ٢٣٣ه (البداية والنهاية ١٠:٢)

وقيل: إنْ استطعت أنْ تعرف ولا تُعرَف، وتسأل ولا تُسأل، وتمشي ولا يُمشى إليك، فافعل.[1]

قال البحتري:

إذا ماكان عندي قوت يوم طرحتُ الهمَّ عني ياسعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي لأنَّ غدا له رزقٌ جديد[2]

لا تعش أمام الناس تعرض نفسك، دع الآخرين ينظرون إليك من غير دعاية، ثقتك بنفسك تجعلك تعيش ملكًا، لاتلتفت للوراء أبدًا، ولاتتمنَّ لو أنك شخص آخر؛ فهذا الشعور قلق لايعود لصاحبه إلا بالهمِّ.

من الصعب أنْ تتمنى وأنت لم تقدّم لنفسك شيئًا، وعوِّدْ نفسك أنْ لايأتيك المبشر بما تنتظر إلا وقد حان وقتُ مجيئه، لا تنتظر كثيرًا؛ فكثرة الانتظار شؤم وهمٌّ ومضيعةٌ للوقت.

لا تنظر للآخرين بما نالوا ولا تبخسهم حقوقهم التي قسمها الله لهم؛ فالرزق مقسوم ومعلوم كيف يشاء الله، فقد يؤخِّر رزقَك في السماء لأمر معلوم في الأرض.

لا تحدِّثوا أنفسَكم بالضعف والفشل، فحديثُ النفس عذابٌ قد يقودك لأمر لا تشتهيه، فالنفس أمّارة بالسوء، ثق بأنَّ الله وعدَك بالنصر، وأمرَك بالصبر.

---

(١) العقد الفريد ٢:٣٤٥

(٢) المصدر نفسه ٢:٣٤٨

لا تزدرِ أحدًا؛ فالله أعلم بما خلق، كم إنسان مزدرى في الأرض لا تعلم قدرَه في السماء! احذر ألف مرة أنّات الصدر فهي قاتلة مميتة، تورثك المرضَ، واحذر ألف مرة من دعوة المظلوم. ولا تجحد معروفًا، فالله يعجّل بعقوبة الجاحد في الدنيا قبل الآخرة.

صفحاتٌ أخرى

صاحبُ النعمة لا يشعر بها، هكذا يتحدث أغلب النساء، متهمات معشر النساء السعوديات بأنهنَّ لا يشعرنَ بالنعمة ولا يجدنَ حتى ريحها!

بينما المرأة السعودية تعيش بين جنباتِ الضجة والسخرية والتعليقات السلبية على الرجل السعوديِّ والذي سُمي مؤخرا ب-(الإسباني)!

قال بعض الكتاب يصف مَن لا يعرف قدْر النعمة: ما ظنك بمَن يعنف بالنعم عنف مَن ساءته مجاورتها، ويستخفّ بحقها استخفاف مَن ثقل عليه حملها، ويطرح الشكر عليها اطِّراح مَن لا يعلم أنَّ الشكر يرتبطها.[1]

قرأتُ مرةً في أحد مواقع التواصل كلامًا لامرأة تصف الرجل السعودي قائلة: (هو مخلوق قليل الجلوس في المنزل، يتغذى على الكبسة والشاي، يتكاثر في الاستراحات، كثير الزعل، قليل الحنان، لايملُّ من الكشتات والرحلات البرية، شعارُه في الحياة: أنا مشغول!).

بينما سجَّلت كتب التراث الأدبي وصف الأعرابيات لأزواجهنَّ بصفات الفخر والعزة والسمو.

---

(١) زهر الآداب ٢:٩٥٩

قال الأصمعي[1]: دخلتُ بعض مقابر الأعراب، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال وعليها من الحلي والحلل مالم أرَ مثله، وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجيٍّ، فقلتُ لها: ياهذه، إني أراكِ حزينة وما عليك زيُّ الحزن، فأنشأتْ تقول:

ياصاحب القبر يامَن كان ينعم بي ... بالًا ويكثر في الدنيا مواساتي
قد زرتُ قبرَك في حلي وفي حلل ... كأنني لستُ من أهل المصيبات
أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفه أنْ ... قد تسر من بعض هيئاتي
فمن رآني عبرى مولهة عجيبة ... الزي تبكي بين أموات[2]

وأخرى ترثي زوجها:

أبكيك لا للنعم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس
يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس
أبكي على سيد فجعت به ... أملني قبل ليلة العرس
من للحروب التي تكون لها ... إن أضرمت نارها بلا قبس[3]

قالت أعرابية لبنات عمٍّ لها: السعيدة منكنَّ يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسيْن وكلبيْن وعيريْن ورحيين، فينب التيسان،وينهق العيران، وينبح الكلبان، وتدور الرحيان فيعج الوادي، والشقية منكن

(١) الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن مروان، حجة في الأدب، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، وتوفي سنة خمس عشرة ومائتين (سير أعلام النبلاء) ١٠:١٧٦.

(٢) العقد الفريد ٣:٢٧٨

(٣) المصدر نفسه ٣:٢٧٧

مَن يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير، ويحملها ليلة الزفاف على عود[١].

تبقى فئة من النساء السعوديات تعمل من أجل رفاهية نفسها ليس إلا، فهي ليست بحاجة للعمل فهناك مَن يؤمن لها جميع متطلبات الحياة، وفئة أخرى تعمل لمساعدة زوجها أو أهلها عن طيب نفس وليست مرغمة، بينما فئة تواجه ظروفًا عسيرة لذلك تعمل من أجل كسب لقمة العيش.

مقارنة بالمجتمعات الثانية تجد المرأة تكدح منذ الفجر وتزاول مهنتها على مضض وعليها تأدية واجباتها تجاه زوجها وأطفالها شاءت أمْ أبت.

تزوَّج رجل من الأعراب على زوجته، وكانت جارية تمرُّ على باب زوجته القديمة فتقول:

وما تستوي الرجلان رِجْلٌ صحيحةٌ ورِجْلٌ رمى فيها الزمان فشُلَّت.[٢]

ثم مرت بعد أيام فقالت:

وما يستوي الثوبان ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدي البائعين جديد[٣]

فخرجت إليها الجارية القديمة فقالت:

نقِّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول

كمْ منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدًا لأول منزل[٤]

(١) المصدر نفسه ٣:٤٧٢

(٢) المصدر نفسه ١:٤٧١

(٣) المصدر نفسه ١:٤٧١

(٤) المصدر السابق ١:٤٧١

حققَت المرأة السعودية معدلًا قليلًا جدًّا من القوة العاملة في البلاد مقابل المعدلات في المجتمعات الأخرى، وهذا دليل على أنها تعيش مخدومةً من جهة الأب أو الأخ أو الزوج، ومع ذلك فهي مشاركة بفاعلية في مسيرة التنمية وبناء الوطن.

وأغلبُ الحديث الآن سائد في قيادة المرأة السعودية للسيارة، مابين هازل ومستهتر، ولم يعلموا أنَّ كثيرًا من النساء تحتاج أنْ تؤدي واجبات كثيرة تستدعي قيادتها للسيارة.

لاشيء يبقى على حاله، فالمرأة بقيادتها للسيارة استخدمَت مهاراتها وقدراتها وأعانت نفسها على أمور الحياة؛ لذلك لا تجعلوا من قيادتها مسؤولية عظيمة عن كلِّ صغيرة وكبيرة وتخلدوا للراحة فلا تلزموها شيئًا، ليس يلزمها لا تتجردوا من مسؤوليات أولادكم وبيوتكم.

أحبُّ أنْ أكون من المتفرجين في أثناء مكوثي في السيارة، وأحب أنْ أمتطي المقعد الأمامي، وأنْ أجلس بجانب النافذة، ولا أمانع إذا استدعى الأمر جلوسي في الخلف، أشترط دائمًا كوبًا من القهوة وقد تنتهي رحلتي ولم أنتهِ منه.

وإذا قدتُ السيارة فلن أقودها إلا بعد مُضِيِّ سنواتٍ من السماح بها؛ حتى تعرف النساء قوانين القيادة جيدًا، ولا أكون ضحيةَ طيش مَن تقود السيارة مسرعة حتى تصل قبل زوجها، أو شابة تعيش رومنسية متأثرة بالأفلام، وتستمع لأغنية باكية تندب حظَّها.

لابد أنْ يعي المجتمع بقيادة المرأة، ولابد أنْ تدرك المرأة فنَّ القيادة؛ فلا تظنها وسيلةَ رفاهية سهلة فحسب، لابد أنْ تعرف أنَّ للقيادة أصولًا تتمسك بها، وأنظمة تسير عليها، وذوقًا تتعامل به.

ربما حركة السير المزعجة تعطلك لساعات طويلة، فلا تخرجي هائمةً على وجهك كي لاتتأخري عن العمل؛ ثم ترتكبي الحوادث المرورية.

وكيف لكبرياء أنثى الاعتذارُ للطرف الآخر إذا تجاوزت قانونًا في القيادة؟! ليس غرورًا، لكن كلمة أنثى تعني أنَّ الرجولة صلبة، لذلك لاتشُدّوا عليها الوثاق بالعقوبة والجزاء.

وقد يستوطن قلب رجل ويأسره من غير قصد صوتٌ مليء بالحنان، يسأل عن جهة أو مكان، والأعجب من ذلك نظرة عابرة إلى اليمين أو الشمال بعيون ناعسة يمتزج فيها الجمالُ والسحرُ تخطف قلبَ مَن هدَّه السهر من جفاء السنين؛ فرفقًا يامعشر النساء.

والعجب أنها قد لا تصل وجهتها أثناء القيادة إلا وقد ساعدَتْ هذا وأعطت ذاك؛ فهي تشعر بألم مَن تعطلت سيارته، وتحس بمعاناة مَن يمشي على أقدامه فطبيعتها الطيبة تغلب عليها مهما كانت قوانين السير والقيادة.

هذه هي المرأة بشخصيتها، والأغلب إذا كانت سعودية؛ فلا تسخروا ولاتهزأوا.

عيادةٌ مثاليةٌ

زار أحد الأصدقاء صديقًا له في مرضه، وحين دخل البيت رفع صوته قائلًا :المرض صعبٌ ويريد مَن يتحمله!

عندها سمع المريض تلك العبارة بدأ يصفرَّ وجهه فوق اصفرار المرض، واعتلجَتْ في نفسه آهاتٌ وألم، فلم تكن العبارة هينة عليه، فقد أصبح لها دويٌّ في مسامعه.

اقترب ودخل حجرة المريض ثم جلس بمحاذاة فراشه، وكان بدينَ الجسد؛ فضايقه في طريقة جلوسه لبدانة جسده، حيث زاحمَه في أرض الله الواسعة!

- سلَّم عليه قائلا: ما رأيتُ العافية في وجهك!

- ماذا حلَّ بك؟! وكيف اشتكيتَ المرض؟!

- قال المريض: كنتُ في أحسن حال وفجأة اجتاحني المرض، ذهبتُ للمشفى وشخص حالتي الطبيب بإعياء شديد وما إنْ.....- قاطعه - قائلًا: عند أيِّ مشفى تراجع؟

اترك هذا الطبيب، وسأخبرك بأحسن منه، وينبغي أنْ تعلم أنَّ المرض اختبار وابتلاء من الله للنفوس الضعيفة، قد تكون قهرتَ مظلومًا، أو أخطأتَ على شخص ما!

سمع المريض النصيحة التي ضجت مسامعه فبدت عينه محمرة، بأنفاس ضيقة، وسعال شديد!

- هل قلقتَ؟ أم خفتَ من المرض؟ أين صبرُ الرجال، وأين العزيمة؟ الموتُ للرجال والأعمار بيد الله لا ينفعك قريب أو بعيد، أكثِر من ترديد الشهادتيْن، فأنت لاتدري متى يأخذ الله أمانتَه؟!

هكذا تكون بعض القلوب! تؤلم من حولها ولا تعرف مقامًا لمقال، تضيّق واسعًا في وقت ذعر وألم، لاتُدخل سرورًا، ولا تزرع أملًا بخبر سارّ أو هدية متواضعة.

الإنسان في الأصل ضعيف جدًّا لا يحتمل الشدائد، فكيف بمَن يعاني؟!

تضيق الدنيا بما وسعتْ، وقد يطول مرض لابتلاء اختاره الله له؛ فيحمل همًّا وغمًّا وهو لايعرف أنَّ الهمَّ قد ملَّ منه.

أغناك الله عن الطب والأطباء، بالسلامة والشفاء، وجعله عليك تمحيصًا لا تنغيصًا، وتذكيرًا لانكيرًا، وأدبًا لاغضبًا، الله يدرُّ لك صوب العافية، ويضفي عليك ثوبَ الكفاية الوافية. أوصل الله تعالى إليك من برد الشفاء مايكفيك حرَّ الأدواء[1].

شيئان لايعرفان إلا بعد ذهابهما: الصحة والشباب. وبمرارة السقم توجد حلاوة الصحة. كقول أبي تمام:

---

(١) زهر الآداب:٢:٨٦٢

إساءة دهر أذكرت حسن فعله إلي ولولا الشرى[1] لم يعرف الشهد[2]

كم رأينا من أناس هلكوا قد بكوا أحبابهم ثم هلكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم ودُّهم لو قدَّموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة ورأينا سوقة قد ملكوا[3]

قيل لعمرو بن العاص في مرضه الذي مات به: كيف تجدك؟

قال: «أجدني أذوب ولا أثوب، وأجد نجوي أكثر من رزئي، فما بقاء الشيخ على ذلك»[4]؟!

قيل لشيخ: ما بقي منك؟

قال: يسبقني من بين يدي ويلحقني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديمَ، وأنعس في الملاء وأسهر في الخلاء، وإذا قمتُ قربَت الأرض مني، وإذا قعدتُ تباعدَت عني[5].

---

(١) الشرى: الحنظل

(٢) زهر الآداب ٢:٨٦٣

(٣) العقد الفريد ٣:٢١٣

(٤) البيان والتبيين ١:٣٧٧

(٥) المصدر نفسه: ١:٤٥٤

جيلٌ محبطٌ!

محبط هذا الجيل، بكلِّ ماتحويه هذه الجملة من معانٍ تُعبِّر عن الألم الذي قضى على كلِّ أمل في الحياة ثم رمى بأصحابه على قارعة الطريق.

لما طلبتُ من طالباتي كتابة مقالة أدبية قرأت بين سطورهنَّ قصصًا عجيبة!

قرأتُ عن الحزينة التي لا تجد للفرح طريقًا، وقرأتُ عن البائسة بين أحلامها وطموحاتها، مشتتة بين جرح عميق وحرقة وألم، وقرأتُ عن التي تبحث عن فرج حتى أوشكَت على الموت.

كتبتْ إحداهنَّ: (ليتَ الغائب يعلم كيف غابت سعادتي معه...)، وأخرى كتبتْ: (أبتسمُ أمام الجميع وعندما أخلو بنفسي...-)، أردت أنْ أنبهها على ألف وضعتها بعد الواو في كلمة (أخلوا) فوجدتُ الأمرَّ من ذلك؛ لقد أكملَت العبارة بـ (.أفكر في الانتحار...)!

وأخرى: (..أبكي بشدة! من القهر والظلم الذي أعانيه، ومن التعنيف المستمر من أقرب الناس لي، لا أستطيع البوح لأحد فأنا...).

والتي أعجبتني كتبتْ: (إذا تعلمتَ الصبر، فقد اجتزتَ نصف مشاكل الحياة).

وكأنها الحكمة عقلًا وفطنة!.

وأخرى ظننتُها من سلالة المتنبي حيث كتبتْ: (على الإنسان أنْ لايستمع لكل مايقال، ولايصدق كل ما أُخبر به ولم يبصره).

وكأنني قرأتُ بيتَ المتنبي المشهور:

خذماتراهودعشيئًاسمعتَبه في طلعةالبدرمايغنيكعنزُحل

وكتبتْ أخرى: (مارس الثقة وحسن الظن بالله في حياتك تنعم بالسعادة والأمان والخير، لاتبدأ صباحك بما يقلق، ولكن أبده بالتفكير بما يسعدك، فالملك لله وليس لأحد سواه، وهو الكريم الودود ويعلم سبحانه ماتريدون).

والتي أدهشتْني كتبتْ:

قدك المياس ياعمري ياغصين البان كاليسر
أنت أحلى الناس في نظري جلَّ من سواك ياقمري
قدك المياس مذ مالا لحظك الفتان قتالا...

أما البقية منهنَّ فلم تكن عباراتهنَّ صريحة، لكني اعتدتُ قراءة مابين السطور، هكذا علمتْني الحياة...لاتقرأوا الحروف التي في السطور، اقرأوا القصص التي بينها.

عواطف كثيرة احتدمَت بين سطور أولئك اليافعاتِ؛ لذلك أردتُ أنْ أكون مساهمة ولو بكلمة لانتشالهنَّ من بين براثن الحياة.

لم أعهد امرأةً تبكي لسبب واحد وهذا الذي يظهر أمامنا، المراة تبكي لتراكماتٍ خبَّأتها ظنًّا منها أنها تنفرج، وعندما يطول بها الصراع تنفجر ببكاء مرير بكاء العبراتِ، وبكاء الحرقة الذي يجعلها تكره كل شيء أمامها؛ فتصبح معيشتها ضنكة مميتة.

ضحكوا كثيرًا على المرأة التي تبكي لأجل ثوبٍ أتلفه الخياط، ولم يعلموا السببَ الحقيقيَّ الذي من أجله بالفعل بكت!

وسخروا كثيرا من المرأة التي تحتفظ بقصاصات الماضي وتحنُّ إلى تلك الأيام واللحظات واتهموها: بالمرأة الكثيرة البكاء والتي لا تعرف إلا الدموع، ولم يعرفوا أنَّ تلك الدموع محرقة وقاهرة، وإذا أحبت الماضي لم تحبه كذكرى عابرة، بل أحبته كوطن لاتريد الانتماءَ لغيره.

وظنوا كثيرا أنَّ دموعها تفاعلٌ مع محب ترك محبوبته أمام مشهد ليس لأجله بكت، فالحقيقة تبقى مبطنة مهما ظنوا، ومهما توقَّعوا.

ليس من الضروريِّ أن نشاهد أثرًا؛ فعيونها باكية، والنساء قادراتٌ على البكاء دون صوت، تبكي بحرقة لأنها كثيرا ماتجاهلَت، وتبكي ألما لأنها لا تملك حلًّا أمام فيضانات العقد، تبكي وكأنها الألم نفسه بؤسًا وشقاء! تستقبل الحياة بالابتسامة لأنها تعلم مدى العنفوان في تحمُّل كوارثها.

لا تُصدِّقوا نزارًا حين قال: (النساء يتعلمنَ البكاء ليكذبنَ، لاتكف المرأة عن الكلام إلا لتبكي...).

وصدِّقوا قول سقراط: (تستطيع الشمس أنْ تجفف مياه المحيط، لكنها لاتستطيع أنْ تجفف دموع المرأة).

والعين التي لا تبكي لاتبصر أبدًا، كل مافات من الحياة فهو غير مقسوم، والالتفات له صعب جدًّا، فمَن يُدير عطفه للخلف يؤلم جسده.

ليس الأسير مَن كان وراء القضبان؛ فهناك مَن يخفف عليه بزيارة عابرة، فالسجينُ يزار ويُسأل عنه، إنما الأسير من تمسَّك بقضبان فكرة بائسة أوجعَت أيامه، وأيقظتْ مضجعه،لايستطيح البوح بها.

كثرة الالتفات إلى هذا وذاك مؤلم جدًّا، ويعمي القلوب التي في الصدور ومشتّت للبصر، البحث عن السرور هو المهرب وهو المتنفس وهو الجمال بعينه، إذا وجدتَ طريقًا للسرور أدركتَ الطرق الأخرى التي كنتَ تتخطاها وتجهلها، مادامت النفس هادئة يتجلاها الطيب، فهذا السرور نفسه.

زرقة السماء هي التي تعلمك الصفاء صفاء النفس. والضياء يبشرك بالفرج مهما طال صبرك.

اصنَع من أيامك أعيادًا؛ فالعيد تهنئة وحلوى وضحكات ولبس جديد وعطاء.

لذة العطاء ليسَت بالأمور المادية، فإذا وصل عطاؤك مرحلةَ الجود فهو أحسن، والجودُ هو الحب والود، وهذا العطاء الذي تبدو فيه الحياة جميلة.

قفوا أمام الحياة بكلِّ ما أوتيتم من قوة، حتى وإنْ جمعتم قواكم ثم توكأتم على عصا، فربما القيام غير مستقيم الظهر...لكنَّ الأهم في الحياة أنك تقوم.

تفرَّجوا على الدنيا بكل جهاتها، لاتجعلوا جرحًا في القلب أو حتى شرخًا في الزمن يؤثر في حياتكم، فيبقى أستاذًا يعلمكم كل يوم لونًا للبكاء، فالخدش يلمع، والكسر يُجبَر.

قال رجل لعليِّ بن أبي طالب: يا أميرَ المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا.

قال: ما أصفُ من دار أولها عناءٌ، وآخرها فناءٌ، حلالها حسابٌ، وحرامُها عقاب[١].

قال عليٌّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - لرجل: ما تصنع؟

فقال: أرجو وأخاف.

قال: مَن رجا شيئًا طلبَه، ومَن خاف شيئًا هرب منه.[٢]

قال الشاعر:

اعمل وأنت من الدنيا على حذر ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بأنك ما قدَّمْتَ من عمل ... يحصى عليك وما خلفت موروث[٣]

---

(١) العقد الفريد: ١٦٧:٣

(٢) المصدر السابق ١٧٣:٣

(٣) المصدر نفسه ١٧٣:٣

وقال الفضيل بن عياض: إني لأستحي من الله أنْ أقول: توكلتُ على الله، ولو توكلتُ عليه حق التوكل ماخفتُ ولا رجوتُ غيره[١].

وقال: مَن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومَن لم يخف الله أخافه الله من كلِّ شيء[٢].

قال عمر لرجل همَّ بطلاق امرأته: لمَ تُطلِّقها؟

قال: لا أحبُّها!

قال: أو كلُّ البيوت بُنِيَتْ على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟![٣]

خطب صعصعة بن معاوية[٤] إلى عامر بن الظرب العدواني[٥] ابنته عمرة، فقال: ياصعصعة، إنك أتيتَني تشتري مني كبدي، وأرحمَ ولدي عندي، أبغيتُك أو رددتُك، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعد أب، وقد أنكحتك خشيةَ أنْ لا أجد مثلك أفر من السر إلى العلانية، أنصح ابنًا، وأودع ضعيفًا قويًّا، يامعشر عدوان: خرجتْ من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة، أقسم لولا قسم الحظوظ على قدر المجدود، ماترك الأولُ للآخر مايعيش به[٦].

---

(١) المصدر نفسه ١٧٣:٣

(٢) المصدر نفسه ١٧٩:٣

(٣) البيان والتبيين ٤٥١:١

(٤) اسمه: الحارث بن عمر بن كعب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤٥٦:٢).

(٥) عامر بن الظرب العدواني، رجل من الجاهلية، كان كامل العقل مسموع الكلمة (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان١ :٤٥٦).

(٦) البيان والتبيين ٤٢٢:١

تربية

أرسلَ معاوية إلى الأحنف بن قيس[1]، فقال: يا أبا بحر، ماتقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرضٌ ذليلة، وسماءٌ ظليلة؛ فإنْ طلبوا فأعطِهم، وإنْ غضبوا فأرضِهم، يمنحونك ودَّهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلًا فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك. فقال: لله أنتَ ياأحنفُ، لقد دخلت عليَّ وإني لمملوء غضبًا على يزيد فسللتُه من قلبي فلما خرج الأحنف من عنده، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره إياه[2].

الأمومة ليست عرضَ خدمات بقدْر ما هي تربية؛ فكثير من الأمهات تنسى تلك الأمور فتصبح علاقتها بطفلها مجرد تقديم خدمة، موهمةً نفسَها بأنها أدت الواجب تجاهه ابنها وبإخلاص تامٍّ.

ينسى الطفل كل الخدمات التي قُدمت مقابل صرخة واحدة في وجهه، أو حتى ضربة خفيفة.

---

(١) هو التابعي، الأحنف بن قيس بن معاوية أبو بحر التميمي، اسمه ضحاك، وقيل: صخر، واشتهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١: ٣٤٣).

(٢) العقد الفريد ٢:٤٣٢

يستعرض الأب بخدماته أمام أبنائه بتقرير يكاد يكون بشكل يوميٍّ؛ فقد وفَّر لهم خدمة المأكل والمشرب والملبس وخدمة السكن وخدمة المواصلات... تقريبًا الأمور الأساسية.

يُكثر الآباء الذين يتعاملون مع أبنائهم بسياسة عرض الخدمات، التي إمّا أنْ يقبلها الأبناء أو يرفضها، فقد تكون الخدمات غير مناسبة لهم، فهي أقلُّ من تفكيرهم ومستواهم العقلي، وليست من اختيارهم، ومن هنا تنشأ الفجوة بين الآباء والأبناء.

مقابل ذلك، لابد أنْ يقبل الابن بتلك الخدمات، ولابد أنْ يحصل على أعلى الدرجات،وأنْ يتخرج من الجامعة، وألّا ينحرف!

أصبحت التربية مساومة وتجارة، قد نربح فيها وقد نخسر، من غير غرس للقيم أو حتى تعديل، للسلوك.

الفرق كبيرٌ بين أبٍ يربّي، وأب يروّض!

يقول جان جاك روسو[1] «قبل أنْ أتزوج كان لديَّ ستُّ نظريات في تربية الأطفال، أما الآن فعندي ستة أطفال وليس عندي نظريات لهم!».

من أجل أنْ يكون أبناؤنا استمرارًا لنا، ومن أجل أنْ نحقق السعادة لهم؛ لابد أنْ نُحسِنَ تربيتهم، فهم اللبنة الأساسية في حياتنا.

---

(١) جان جاك روسو كاتب وأديب وفيلسوف، يُعد من أهم كتاب عصر النهضة ولد ٢٨ يونيو ١٧١٢ انتقد المجتمع كثيرًا في رسائل عديدة، وله كتاب (الاعترافات)، توفي ٢ يوليو ١٧٧٨في جنيف (الكتالوج العام للمكتبة الوطنية الفرنسية) 456 – http:catalogue:bnf:fr.

أمرَنا الرسول - ﷺ - بأنْ يصلي الرجل الفرائض في المسجد، والسُّنن في البيت وفي ذلك حكمة عظيمة، فهي فرصة كي يتربى الأبناء على أداء الصلاة ومشاهدة أفعال الصلاة من الركوع والسجود.

وأمرَنا رسولنا الكريم - ﷺ - أنْ نأمرهم بالقيام للصلاة وهم أبناء سبع سنين، وأنْ نضربهم على تركِها وهم أبناء عشر سنين.

قصة التربية قصة طويلة جدًّا؛ لا نستطيع مهما ذكرنا سردها، ولن تنتهي مهما أحسنّا البداية وفهمنا الحبكة، وأحسنّا اختيار الشخصيات.

يُروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لمؤدبه:كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟

قال: أحسن طاعة.

قال: فأطعني الآن كما كنتُ أطيعك إذ ذاك؛ خُذْ من شاربك، حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حتى تبدو عقباك[1].

أوصَت امرأة ولدها قائلة: «إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضًا للرماة، فإنَّ الهدف إذا رُمِي لم يلبث أنْ ينثلم، ومثِّل لنفسك مثالًا فما استحسنتَه من غيرك فاعمل به، وما كرهته منه فدعه واجتنبه، ومن كانت مودته بشره كان الريح في تصرفها، إياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، وإياك والغدر فإنه أقبح ما تعول به!، وعليك بالوفاء ففيه النماء، وكن بمالك جوادًا، وبدينك شحيحًا[2].

---

(١) الكامل: ١:٤٧٠

(٢) المصدر نفسه ٤٢:١٠٣٠ -

قال الحجاج لمعلم ولده: علّم ولدي السباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون مَن يكتب عنهم، ولايصيبون مَن يسبح عنهم[1].

وقال أحد المربين: علّم ابنَك الحساب قبل الكتاب، فإنَّ الحساب أكسب من الكتاب، ومؤونة تعلمه أيسر، ووجوه منافعه أكثر[2].

(١) البيان والتبيين ٢:٥٧٣

(٢) المصدر نفسه ٢٤:٥٧٣

جاحدُ المعروفِ

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني.

هذا البيت الشعريُّ عفى عليه الدهر، لكنه مُعبِّر جُلَّ التعبير عن كلِّ لئيم أنكر المعروف، وجحد الفضل.

قالوا:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العُرفُ بين الله والناس

وقرأتُ مرة... "كن كالسحاب الممطر؛ تنزل الخير على مَن يستحقُّ، ومَن لا يستحقُّ!".

وقيل: "إنَّ الله يعجل عقوبة جاحد المعروف في الدنيا قبل الآخرة".

كلُّ مصائب الحياة تُجبَر إلا جاحد معروف.

إذا قدمتَ معروفًا لجاحد فضل فلا تحزن؛ لأنَّ المعروف لا يذهب عند الله إذا تلاشى عند العبد، وإذا قابلك بإحسان فهذا خيرٌ على خيرٍ، المهم أنْ لا يقابلك بالإساءة، فالجاحد هنا أهونُ.

قدَّم المعروف في كل مكان ولا تكره الوفاء أو فعل الخير فالله يوسع في الرزق، ولا تنتظر النتائج، وهذا هو الأحسن.

لا تعجَبوا من الذين تخلّوا عنكم وأنتم في الشدائد، ولا تعجَبوا من الذين جالسوكم للمصالح فأنت قدمتَ شيئًا حسنًا تبتغي به وجه الله – تعالى – وبالمقابل بقي في حاجتك واستلّ أجمل ما عندك، بينما أنت كشفتَ ما عنده من سوء، فما عنده ينفد وما عند الله باقٍ.

وربما سحرته بكلماتك الجميلة التي هي من طبعك، ومن معجمك اللفظي الذي تعودتَ عليه، فأراد أنْ يستفيد منك ولكنه مارس عليك سحرًا غير سِحرك، فأصبح كبيرهم الذي علمهم.

ولا تعجبوا من نكرانه؛ فهو لم يشعر بمدى السعادة في تقديم الجميل، بل طغَتْ عليه ظلمة حالكة لم يستطع الرؤيا من شدة بهيمها الذي تعوَّد عليه.

إنها ظلمة القلوب الميتة الضنكة التي حملَت بين جوانحها لغة لا تعرف للحياة معنى، ولا تعرف للوفاء طريقًا.

لاشيء يمنعه حين يدير عطفه عنك، فلا قلب حنون، ولا مشاعر حية، لا تستدعيه شهامة أو حتى رحمة، الإنسانية بائسة لديه، ولا يعرف لها طريقًا.

مايعزي النفس ويجبُرها أنْ الباطل لايستطيع افتراس الحق مهما جاراه

قال أحد الصالحين: "مَن شكرك على درجة رفعتَه إليها، أو ثروة أفدتَه إياها؛ فإنَّ شكري لك على مهجة أحييتَها، وحشاشة أبقيتَها، ورمق أمسكتَ به، وقمتَ بين التلف وبينه. فلكلِّ نعمة من نعم الدنيا حدٌّ تنتهي إليه، ومدى يوقف عنده، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف، خلا هذه

النعمة التي قد فاقت الوصف، وطالت الشكر، أتت من وراء كل غاية، ردت عنا كيد العدو، وأرغمت أنف الحسود، فنحن نلجأ منها إلى ظلٍّ ظليل، وكنف كريم، فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغ جهد المجتهد؟[1]

وقيل عن المعروف: أمّا بعد، فإني لا أعرف للمعروف طريقًا أوعر من طريقه إليك؛ فالمعروفُ لديك ضائعٌ، والشكرُ عندك مهجورٌ.

إنَّ مودة الأشرار متصلة بالذل والصغار، تميل معهما، وتتصرف في آثارهما. وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفيس، وأنزلهما بالمنزل الرفيع، حتى رأيتُ ذلتك عند الضعة، وضرعك عند الحاجة، وتغيُّرك عند الاستغناء[2].

على الإنسان أنْ يردَّ الجميل مع فرص الحياة، وإذا لم تُسعِفه يجب أنْ يرتقي عن إنكاره، فرُبَّ قلب يبقى مجروحًا من إنكار الجميل، ورُبَّ قلب عوَّد نفسه على البذل والعطاء ثم العطاء، وفي النهاية يجد الجحود والإنكار!

قبيحٌ أنْ تقبل على الإنسان وتلازمه مادامت الدنيا أقبلَت عليه، وقبيح أنْ تتركه وتتخلى وتسير حيث ولَّت الدنيا عنه.

وكم هي جميلة النفوس التي لا تنكر المعروف مهما اشتدَّ غبار المعركة، وفية كريمة حيث وجدتها.

---

(١) العقد الفريد ٤: ٢٢٠

(٢) المصدر نفسه ٤: ٢٢٣

التلقين

حدثتْني صديقة قائلة : كان كل أطفالي في مراحلهم الأولى لا ينسون قول (الحمد لله) بعد الانتهاء من وجباتهم الثلاث، ولكن سرعان ما نسوا ذلك عندما كبروا؟!

لا أجد لذلك سببًا مقنعًا سوى أنَّ سياسة التعليم التي تعلَّمناها وعلَّمناها اعتمدَت على التلقين، ولا يزال الملقنون يعيشون بيننا.

هكذا نشأ أكثرنا على التلقين، تلقين العبارات دون استشعارها.

لازلت أذكر كيف كُتبت لنا تلك الكلمات في أول صفحات المنهج قبل أنْ نتعلم الحروف مدرجة بصورة تعين على التلقين والحفظ.

قرأ، كتب، تطبخ، تغسل، تخيط

تختم الحصة الدراسية بعبارة (احفظوا الدرس جيدًا).

آخر الفصل الدراسي يدرس الطالب الحروف الهجائية التي وضعَت كاملة في أخر الكتاب؟! والتي كان من الممكن أنْ توضع بداية المنهج.

الحفظ والتلقين جعلنا أكثر استعدادًا لتقبُّل الثقافات التي حولنا كما هي، فكثيرٌ من حاملي الشهادات العليا يتصرفون بشكل متناقض مع ما حولهم.

لم يعرف المعلم قدْرَ عمله ومكانته، ولم يقف وقفة يحاسب نفسه، ماذا يُلقّن هؤلاء الحفظة؟!

كانت معلمة تشرح لنا تعريف همزتي الوصل والقطع، ولم تطبق شيئًا من الأمثلة أو حتى تطلب منا التطبيق! بينما تنطق حرف الذال (زاي) قول: (الذين : باللزّين)!

ونحن نُلَقن كل هذا، نشأ جيل ليس بالهين لايعترف بالهمزات، ولا يفرّق بينها؟!

أمّا طريقة الوضوء، فقد كبرنا ولم نعرف عبارة: (الخارج من السبيلين)! فهل كان يمنعهم الحياء لهذا الحد؟! أما أنَّ الإهمال والتلقين أخذا دورهما بشكل كبير؟!

وسياسة العقاب فقط كانت انتقامًا أو إنْ شئتم.. (غوانتانامو)! كل ذلك رُسم في مخيلتي، ولن تُمسح مرسومةٌ عندي.

إنَّ ممن علمني في المرحلة الابتدائية معلماتٌ كثيرات، ولكن مَن التي بقيتْ في ذهني!

لست أدري هل تقرأ سطوري هذه إحدى معلماتي ؟!

لا نريد سياسة التلقين تستمر أو حتى لها أثرًا، ولابد أنْ يعي ذلك ممن يعلم ويقف أمام طلاب الجامعة، فلابد أنْ يعرفوا طريق الحق ويدُلّوا عليه.

هل تريدون أنْ أخبركم بأكثر من ذلك عن سياسة التلقين؟

أذكر إحدى الزميلات في مرحلة الماستر، لا تعرف ترتيب الحروف الهجائية؟ ولا يظن أحدٌ أني أبالغ، وقد يقول قائل: والمراحل الأخرى، ألم تعلِّمْها ترتيب الحروف؟!

إذا اتسع الخرق عن الراقع فما الحل؟!

إنَّ ضعف معلم الابتدائي مسيرةٌ لضعف الطلاب إلى آخر مرحلة دراسية.

ولازال التلقين يؤتي ثماره الباهتة؛ فتجد أكثر المعلمين الآن ناقلًا للمعرفة فحسب من غير توظيف أو تحرٍّ لها، يتعامل مع الطالب بعيدًا عن الجو التعليمي الذي يغذي الطالب روحيًّا وعقليًّا ووجدانيًّا مسايرًا لروح العصر.

ذاك المعلم تجده ينتقد الطلاب دائمًا متناسيًا طريقته وأسلوبه الذي لايساعد على إنتاج أجيال متعلمة ناضجة.

اهتمّوا بتدريس أبنائكم، أبعِدوهم عن التلقين الذي بات يهزُّ ثقافتهم، اختاروا لهم من المدارس أحسنها، والتي تهتم بتدريس المجموعات في الفصل الدراسي فهي طريقة مُجدية؛ تُعلِّم وتبني الشخصية.

أبعِدوهم عن التلقين الإلكترونيِّ الذي لا تقيده طريقة أو حتى نظام، والذي تغلغل في نفوسهم، وأرهق أجسادهم.

قال عتبة[1] بن أبي سفيان لمؤدب ولده: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بَنِيَّ إصلاح نفسك فإنَّ أعينهم معقودةٌ بعينك، فالحسنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيح عندهم ما استقبحتَ، وعلِّمْهم كتابَ الله، ولا تُكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روّهم من الشعر أعفَّه، ومن الحديث أشرفَه، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكِموه، فإنَّ ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجّل بالدواء قبل معرفة الداء، وجنِّبهم محادثة النساء، وروّهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وإياك أنْ تتكل على عذر مني لك فقد اتكلتُ على كفاية منك، وزد في تأديبهم، أزدك في بِرّي إن شاء الله تعالى»[2].

والمعلمون كانوا على ضربيْن: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة[3].

---

(١) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس، كان عاقلا فصيحًا، من فحول بني أمية أمير مصر، توفي سنة ٤٤ه، (سير أعلام النبلاء ٢:٢٣).

(٢) البيان والتبيين ١:٢٤٢

(٣) المصدر نفسه ٢:٤٣٩

مُخضرَمون

لازلتُ مَدينةً لذلك الزمن الجميل الذي أكسبَني عادات جميلة في حياتي.

فقد تعلمت أن أنام بعدصلاة العشاء لأستيقظ باكرًا، لا أستطيع الخروج صباحًا غير مرتدية لباسًا فوق الحاجة في فصل الشتاء؛ خشية الوعكاتِ الصحية والتي من الممكن أنْ تجعلك تتغيَّب عن يوم دراسيٍّ كامل.

فُسحتي وترفيهي أقضيه بين كتبي؛ فليس من الضروري الخروج من المنزل، إذا مللتُ يومًا منها أدرتُ عطفي نحو تدريس إخوتي.

لم نتغيب خشية الغرق من الأمطار، ولم نتغيب خشية انعدام الرؤيا، الأمطار الغزيرة متعتنا، وذهابنا لمدارسنا فرصة لمشاهدتها، ولم نكن نظن فيها إلا خيرًا؛ فهي الرزق، وهي الحياة.

أيامنا كلها مرتبة بالساعة وبالدقيقة، لم نكن نعبأ بحرٍّ يقلقنا ولا غبار يزعجنا، نستمتع بكتابة النصوص في مادة القراءة نكتبها في الصفِّ الدراسي مرة، وتعاد مرة أخرى في البيت من غير ملل أو إزعاج، بكل أريحية وطاعة.

نغدو للنوم مبكرين، ننتظر الصباح بكلِّ شغف، نتسابق للصف في الطابور تحت قطرات المطر نسمع الإذاعة الصباحية التي يعجُّ صوتها

بكل مكان من أرجاء المدرسة وكل ما حولها من جيران ومنازل، ندخل الصف الدراسي يجتاحنا قلقٌ وخوفٌ مميتٌ من الاختبار.

وحين ننتهي، تعصر قلوبنا آهات من القهر منذ الحصة الأولى إلى آخر الدوام مقابل إجابة خاطئة في ورقة الاختبار.

تبدأ الحصة الثانية، نتسابق في بري أقلام الرصاص لنقضي مابقي من اليوم الدراسي.

استمر السباق ومضت سنون، ودخلتُ الفصل فإذا الأقلام تبعثرت في كل مكان وفي كل زاوية، بل إننا لانحتاج إلى شراء الأقلام من كثرتها!

أخطأنا حين تركنا الأقلام وبريها، كثرت أقلامنا وقلَّتْ أفكارنا،، تركنا الأقلام واعتكفنا على الأجهزة التي ساعدَت الطلاب وربَّتهم على كُره المدارس.

سرعانَ ما تنهال علينا المؤامراتُ في الرسائل قبل اقتراب موعد الدراسة التي قد بُطِّنَت بأساليب تشعرنا بعدم تقبُّل الطلاب للدراسة، وكأنَّ اليوم الدراسيَّ شبح يقترب منهم!.

أوهمونا بأنَّ الدراسة شيطانٌ مارد فصدقنا ومشوا قدُمًا في العلم.

رسالة تليها رسالة بحديثهم ورسائلهم؛ حتى زعزعوا ثقةَ أكثر الطلاب بأنفسهم، ومشوا يتبخترون يعتدّون بأنفسهم.

بدأوا من (مصطفى) ذلك الاسم المعبِّر عن الاجتهاد المفرط، هكذا انتشرَت عند أفراد الشعب السعوديّ، طفل مطيع جدًّا لم يعصِ

أمرًا قط، كل مايهمه في الحياة مذاكرة دروسه، لم يكن مصطفى إلا الطالب المجتهد الذي يؤمر فيطيع من غير تذمُّر.

الغريبُ، أنَّ مصطفى لم يكن سعوديَّ الجنسية، بل كان من بلاد الشام، بدينَ الجسم، ممتلئ الوجه يمسك الكتاب بيد والشطيرة بيد أخرى، بينما أقرانه من الأطفال السعوديين الذين لم يكن همهم وشاغلهم إلا اللعب والركض في الطرقات، ولم يعرفوا طريقًا للمذاكرة.

هكذا صورت أغلب الحكايات شخصية (مصطفى)، الذي يذاكر ويهتم حتى أصبح شخصًا فريدًا من نوعه، وتبقى لهجة السخرية دائمة إلى أنْ ينتهي العام الدراسيُّ.

قبل سنوات لم نكن نسمع كلمة: (مصطفى) بين أوساطنا؛ فكلنا نجتهد ونحرص على تقديم أفضل الدرجات، وكلنا نتسابق على المراكز الأولى.

ومن المفارقات العجيبة كره الطلاب للسنة الدراسية مع سهولة تناول العلوم، فكلُّ شيء مُيسَّر؛ وفي المقابل لا نجد إلا نزرًا قليلًا ممَّن يحب المدارس والجامعات.

أنا من الذين تعلموا في المدارس الحكومية، ودرّسوا في المدارس الخاصة، فرأيتُ العجب! رأيتُ ضياع هيبة المعلم، وامتهان مهنة التعليم في كثير من الممارسات التربوية التي توفر الحدَّ الأدنى من الاحترام.

أنا من الجيل الذي عاصر استخدام المسطرة وبراية الأقلام، والتسابق على مسح السبورة، وتزيين الدفاتر للمعلمة.

من الجيل الذي كان يعُدُّ اللحظات، وينتظر آذان العشاء حتى يتسنى لنا النوم، نصلي فنخلد للراحة، ننتظر الصباح بشغف، وما إنْ يحين الصباح حتى نغدو لمدارسنا بصباح مُشرِق عامر بالفرح والنشاط.

جيلنا الذي كان يعُد أول يوم دراسي عيدًا بصباحه الجميل، كنفوسنا التي تقبلَت كل شيء حولها، لانعرف إلا ضحكاتٍ تعلو المكان؛ تعبيرًا عن حبنا وفرحنا باليوم الدراسي.

الجيل الذي إذا دخلَت المعلمة وقف الماشي، وسكت الناطق، جيلنا الذي ترتعد فرائصهم من هيبة المعلم؛ فالكلمة المسموعة هي كلمة المعلم من غير سلطة الأنظمة التي تُمارس الآن من أجل أنْ تُخضع الطلاب لاحترام المعلم.

كانت الفرحة لاتسعنا عندما حذفت كثير من الدروس؛ لأجل التعجيل بالإجازة والبقاء في البيوت استعدادًا لطوارئ حرب الخليج، وشعرنا بالحزن عندما داهمَت القوات العراقية الخفجي!

سمعتُ بصواريخ سكود وباتريوت، وعرفنا الكمامة وصافرة الإنذار، ولأول مرة نشهد حربًا، ونشهد أحداثًا مخيفة عالقة بنا رغم مرور الزمن.

ما أجمل أنْ تخاف على وطنك! وترى ذلك على وجوه أفراده بالدفاع عنه والصمود أمام أعدائه، وماكان حزننا وبكاؤنا إلا للوطن.

تعلمنا معنى الصبر وانتظار الأمل والفرج، وشاهدنا خيبة الأمل في قسمات وجه العدو.

لم نكتشف الذرَّة، ولم نرقب كيف سقطَت التفاحة لاكتشاف الجاذبية، ولم نكتب أجمل بيت لكننا كنا إذا جاء الإبداع تلقيناه، وإذا اختفى بحثنا عنه.

مهما تقدَّم بنا العمر، لاننس تلك اللحظات التي تتوارى في الذاكرة، ولا سبيل للنسيان إلّا إذا حجبتْها الشمس.

هكذا تحملني الذاكرة دائما لسنين مضت تظل مصدرًا ذكريات جميلة لاتتوه فيها الكلمات، نشيد حضارة عالمية لانزال نعيشها ونزهو بها في تربة خصبة تنبت فيها بذور لثمار يانعة؛ كي تكتب حياة ناجحة بعيدة عن المنافع الشخصية في بحث دائم عن الحقيقة، نلاحظ المفقود ولا نمكث بدوْر المتفرج الذي لايصنع شيئًا.

قالوا: "ثمرة القناعة الراحة، وثمرة الحرص التعب"[1].

وقال البحتري:

إذا ما كان عندي قوت يوم ... طرحتُ الهم عني ياسعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي ... لأنَّ غدا له رزقٌ جديد[2]

وقول رجل يفخر:

إنا لمن معشرٍ أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا ... من عاطف خالهم إياه يعنونا
وليس يذهب منا سيدٌ أبدًا ... إلا افتلينا غلامًا سيدًا فينا[3]

(١) البيان والتبيين ٢:٣٢١

(٢) المصدر نفسه ٢:٢٣٤١

(٣) المصدر نفسه ٤:٩٥٥

قالت الحكماء: العلمُ قائدٌ، والعقلُ سائق، والنفس ذودٌ، فإذا كان قائدا بلا سائق هلكت الماشية، وإن كان سائقًا بلا قائد أخذت يمينًا وشمالًا، وإذا اجتمعا أنابت طوعًا أو كرهًا[١].

قال أحد الملوك لولده، وكان له أربعون ولدًا: «يابَنِيَّ، أكثِروا من النظر في الكتب، وازدادوا في كل يوم حرفًا، فإن ثلاثةً لايستوحشون في غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي[٢]».

وقال عروة بن الزبير[٣] لبنيه: «يابَنِيَّ، اطلبوا العلم؛ فإنْ تكونوا صغارَ قومٍ لايحتاج إليكم، فعسى أنْ تكونوا كبارَ قوم آخرين لايُستغنى عنكم[٤]».

---

(١) العقد الفريد ٢:١٧٨

(٢) البيان والتبيين ١:٤٣٢

(٣) أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، تابعي ومحُدِّث ومؤرخ مسلم، وأحد فقهاء المدينة السبعة، وأحد المكثرين في الرواية، توفي في المدينة المنورة ٧١٣م (البداية والنهاية ٩:١٣٦).

(٤) العقد الفريد ٢٤:١٨٩-

بعوضة

عندما كنتُ أراقب في إحدى لجان الاختبار، إذا بحشرة غريبة لا أعرف لها اسمًا تقف على رأس إحدى الطالبات، الأقربُ أنها بعوضة وليست ببعوضة!، جناح ذبابة ولم أتوقع أنها ذبابة، انتهى الأمر عندي أنها نامسة غريبة الأطوار.

وقفَت مليًّا على رأس الطالبة، فرغبتي الملحة قادتني إلى إبعادها عن رأسها بحركة عشوائية، مددتُ يدي فترددتُ؛ خشيتُ من المفاجأة فقد يصيب الطالبة الهلع فتصرخ، لذلك سكتُّ على أمل أنَّ الحشرة تطير مغادرة.

مشيتُ إلى آخر القاعة الدراسية، ثم رجعتُ مرة ثانية، وأنا أتذكر قولَ الأعرابي في الجرادة التي أفسدَت زرعه:

مرَّ الجراد على زرعي فقلتُ له ... الزم طريقك لا تولع بإفساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلةٍ ... إنا على سفر لابد من زاد[1]

دون جدوى لازالت متربعة تلك الحشرة، ولا أدري هل وضعَتْ بيضَها على رأس الطالبة أمْ ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.

قرأتُ في دراسة أنَّ الذباب بمجرد أنْ يسقط على الطعام يسكب اللعابَ من فوره.

---

(١) البيان والتبيين ٢:٥٤٠

ظلت صامدةً دون حراك لدرجة أني ظننتُها ميتة، حاولتُ مرة أخرى، مددتُ يدي؛ فربما تشعر بالظل فتولي هاربة، ولكن باءت المحاولة أيضًا بالفشل.

بالرغم من صغر حجمها إلا أنها كانت جيشًا أمامي لاقائد له، حاولتُ أنْ أنسى ولكنها زعزعتني بصمتها، كم هي حقيرة!

اندماج الطالبة مع الأسئلة دون أنْ تحرك رأسها لم يكن عجيبًا عند صمت وتصلُّب تلك الحشرة.

وقد ورد في تفسير الأحلام: مَن رأى بعوضة في منامه فذلك يدلُّ على عدو غادر قد يسفك دمك، أو يشوِّه بدنك.

البعوضة تحيا ماجاعت فإذا سمنَتْ ماتت، ومهما كنتَ حليمًا تُفقدك أعصابك، تزعجك أنى التفتَّ.

أثبتت الدراسات أنَّ البعوضة لها مئة عين في رأسها، وفي فمها ثمانٍ وأربعون سنًّا، لها ثلاثة قلوب في جوفها، لها ستة سكاكين في خرطومها وثلاثة أجنحة.

مضى وقت طويل مملٌّ في مراقبة الطالبات والبعوضة معًا، انتصرتُ على كل حيل الطالبات خشية أنْ يسرقنَ الإجابات من بعضهنَّ، أمّا البعوضة فقد فقدتُ الحيل كلها، واحترتُ في كل الطرق كي أجعلها تطير بعيدًا عن الطالبة دون جدوى؛ فمن المؤكد أنها سرقَتْ من الطالبة دمًا وافرًا!

حينها دفعتْني الرحمة التي أجَّلتُها كثيرًا ومرارًا، وما إنْ رفعتُ يدي بقوة كالسهم كي أبطش بها بحركة طائشة حتى رفعَت الطالبة رأسها مسرعة ترمقني بعيون متعجبة؛ وهذا ما لم أُطِقْه! فكيف أشرح لها تلك المسرحية التي مضت بمُشاهد واحد وأنا في قاعة الاختبار؟!

مازالت تنظر لي الطالبة فقلت لها: لاشيء... واصِلي الحلَّ؛ فالوقت أوشك على الانتهاء!.

لم يكن شَعر الطالبة أسود أو حتى أشقر أو مُخَصَّلًا، فالطالبة صبغَت شعرها بلون أحمر برّاق؛ فلما رأته البعوضة حسبته زهرةً في بستان، حينها كشفتْ عن ساقيْها وأطالت المكوث.

تأملتُ كيف صمدت تلك البعوضة وأصرَّت على الجلوس حتى تنال ماتريد، تقديرًا لذاتها، غير مبالية بمن حولها مهما كانت المخاطر، بينما تجد كثيرًا من الناس لديهم طاقاتٌ لا يجيدون الاستفادة منها، وقد يجهل الكثير أنَّ الإنسان لابد أنْ يعمل مهما كان العمل، ومهما كانت ضالته مستفيدًا من إمكانياته لتحقيق ذاته وتميزه.

أمّا صمت البعوضة فقد كان مدهشًا وعجيبًا! ويسخر الكثير من الإنسان الصامتِ، في حين أنَّ الأرض صامتة وفي جوفها بركات، لاتستهينوا بمن تميَّز بالصمت؛ فالصمت وراءه الكثير، والزم نفسك الحلم أمام الأشخاص الذين يستفزونك بكلمة أو سوء سلوك.

قليلٌ مَن يصمت في هذا الزمن! تجد الكل يتحدث والمنصت واحدًا، وأكثر الحديث لايضيف لك شيئًا، بل مضيعة للوقت، ولا يقف

عند ذلك فحسب فقد يكون نشرًا لطاقة سلبية، والذي يصمت قد اتبع ملة في تعايشه مع الناس لامحالة تريحه من الكلام الذي لافائدة منه، وأكثر الصامتين يتفاعلون مع لغة البحر، يعيشون أجواء إشراقة الفجر، وينعمون بهدوء الليل.

الصمت لايهديك حكمة واحدة بل حكما متعددة، لايرحم الإنسان نفسه حين يتكلم، ولو اختار الصمت لأراح نفسه من التعب والهم والشقاء، وفهم معنى الصمت بصورة أفضل، وهو فنٌّ قليل مَن يتقنه.

ومما قيل في الصمت والكلام الحسن[1]: (صلاح شأن جميع الناس التعايش والتعاشر، وهو ملءُ مكيال؛ ثلثه فطنة، وثلثه تغافل).

كان أعرابيٌّ يجالس الشعبي فيطيل الصمت، فسئل عن طول صمته فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم[2].

وكانوا يقولون: لاتعدلوا بالسلامة شيئًا، ولا تسمع الناس يقولون: جلد فلان حين صمت، ولاقتل حين سكت. وتسمعهم يقولون: جلد فلان حين قال كذا وكذا وقتل حين قال كذا وكذا[3].

---

(١) البيان والتبيين ١:٩٠

(٢) المصدر نفسه ١:١٩١

(٣) المصدر نفسه ١:٢٦١

ميلادٌ جميلٌ

كان اليوم ممطرًا وبغزارة شديدة، والأجواء باردة، نسمات الفجر مع الآذان تنادي: حيَّ على الصلاة.... حيَّ على الفلاح...

حديثي هذا بعيد عن سلوكيات الناس، أو واجبات الحياة، بعيد عن قصص وأحداث، نقلة جديدة في سمائي حتى جاء ذلك الميلاد المنتظر.

ميلاد (فيصل) كأنه يوم عيد!

لم يكن كأيِّ ميلاد! ولم يكن الطفل الوحيد في العالم غير أني أسميته الطفل النفيس، كان أقربَ مايكون إلى قلبي إذا فرح، بل إذا بكى، بل في كل حالاته، أحزن يوم أراه باكيًا، أتمنى أنْ لاتنزل دمعة من عينيْه.

توقعت أنَّ الأرض تتحدث إذا سمعت حديثه، وأخجل من نفسي مراتٍ عديدة يوم أتنبه أنَّ حديثي كان عن فيصل فقط.

استبشرتُ بقدومه يوم أنْ وهبَني الله ضحكاته لم تكن ضحكات تسعدتني فقط، بل أسعدت الدنيا بما فيها.

إذا أراد شيئًا يفكر بصمت ملفت، وإذا لم يجد إجابة لطلبه يلجأ إلى القُبَل المتتالية.

ينظر إلى كل الناس بالمثالية لايعنيه خطأ الآخرين مهما كان، يختلط بمن هم أكبر منه سنًّا دائمًا يفكر بمستقبله، وماذا سوف يصبح؟

كثير اللعب وكأنه يعلم أنه لاعودة لتلك الألعاب إذا كبر، عالمه مخمليٌّ ضاحك ليس يدري ماوراء جدران الحياة.

يجري مسرعًا لدرجة النهجان وكأنَّ ما وطئ الأرض غيره، يجري مع ألعابه وأصدقائه، وكأنه يخشى من الدنيا التي قد تجعله يجري خلف طموح مستحيل، وحلم قد لا يتحقق.

له ضحكات تُضحك الصخرة البائسة، لم أردعه يومًا عن طريقة ضحكته فلا أعلم مايخبئه القدر من صخب الحياة، بل أتسبب في كلِّ المواقف التي تجلب له السعادةَ والضحكَ.

أحيانًا يتضجر من كونه وحيدًا، لكني لا أعبأ بذلك ولا أعطيه سببًا، أو أبرر له أمرًا، بل أوطِّنُه على ذلك فربما الحياة لاتبسط يدها له كلَّ البسط وتقسو عليه، فيقابل صديقًا غادرًا، أو عدوًّا ماكرًا.

يلومني فيه كثير من الخلائق عندما لا أعطيه كل ما أراد ولا أفرط له في دلال أو رفاهية؛ حتى لايصبح أكبر همه تنعيم نفسه فيغفل عن تنعيم قلبه، وينغمس في شهواته ثم ينسى ذِكر ربه، حينئذ أكون قد فرطت في الأمانة، ولم أقدر هبة خالقي يوم أنْ أكرمني بوجوده.

وقد يلومني في كبره على ما أسديتُ له من عطاء كان سببًا في سلبه قدراتٍ في نفسه كامنة، وظمأ كان مصدره ارتواء بالغتُ فيه.

كثير من الأشخاص قرباء سواء أو كانوا أصدقاء يقدمون له هدايا قيمة، وأخرى تحمل معانيَ لطيفة يقدمونها في مناسبة وغير مناسبة حينها يفرح بها فرحًا شديدًا، ثم يتساءل عن اسم المهدي، ومدى علاقته به يطرح سؤالًا يليه سؤال، استفسارات عدة أحيانا تجلب الملل، لكنه يعزز في نفسي حبه للناس، ويرغمني بالحديث الطويل عن كلِّ شخص قدَّم له هدية.

كان عبدالله بن عمر[١] يذهب بولده سالم كل مذهب،حتى لامه الناس فيه، فقال:

يلومنني في سالم وألومهم وجلدةبين العين والأنف سالم[٢]

وكان يحيى بن اليمان[٣] يذهب بولده كل مذهب، حتى قال يومًا: «أئمة الحديث أربعة، كان عبدالله، ثم كان علقمة، ثم كان ابراهيم، ثم أنت ياداوود».[٤]

كنت أحسب كلَّ الأمهات يوصلنَ أبناءهن للمدرسة، فوجدتُ الأمَّ التي تجلس في السيارة وتترك الطفل يدخل المدرسة وحدَه،

(١) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن الخطاب، أحد فقهاء المسلمين والصحابة، وهو ابنُ الصحابي والخليفة الثاني عمر بن الخطاب (سير أعلام النبلاء ٢:٤٣١).

(٢) العقد الفريد٢:٤٣٢

(٣) يحيى بن اليمان، الإمام الحافظ الصادق العابد المقرئ،كان يحفظ في مجلس واحد خمس مئة حديث، توفي سنة ١٨٩ (سير أعلام النبلاء ٨:٣٢٤).

(٤) العقد الفريد ٢:٤٣٣

ووجدتُ الأم التي أرسلت الطفل مع الخادمة أو المربية، ووجدتُ أطفالًا وحدهم يدخلون ويخرجون من غير مرافق لهم، حاولت أنْ أقلد أو أكون من بين هؤلاء فلم أقوَ على ذلك.

الطريق لدخول باب الفصل شعبتان، وكنتُ اختار الطريق الأقصر كي أستطيع المغادرة سريعًا ولا أتأخر عن عملي، لكنه يرفض ذلك ويأبى إلا أنْ نسلك الطريق الأطول مسافة، فلم ينفع إقناعه إلا أنه أفصح عن سر ذلك؛ فهو وسيلة كي أبقى معه وقتًا أطول!

إذا أردت إقناعه بشيء أجده يعلمني أشياء، لا يعبأ ولا يبالي بمن خاطبَه: لقد كبرتَ ادخُل المدرسة وحدَك، ووجدتُ نفسي تعاطيتُ شيئًا من سلوكياته فلا أتركه يدخل وحدَه؛ لأنَّ نفسي تأبى ذلك خوفًا عليه!

وكنتُ إذا جاوزت المدرسة وتركته كأني تركتُ قطعة من نفسي، فكيف تعيدني قدماي للبيت من غيره!

لستُ من الذين يغرسون في أذهان أولادهم مهنة معينة أعجبتهم، لكني أعرض عليه رغبتي عرضًا لاعنوة فإذا قلتُ له: جميلٌ أنْ تكون في المستقبل طبيبًا، يسألني سؤالًا يثير الدهشة، كم يتقاضى الطبيب مرتبا؟! بعبارته..(كم يعطونه فلوسًا)؟!

بالفعل أمرٌ يثير الدهشة، يسكت مليًّا ثم يُفهمني أنَّ لاعب الكرة يتقاضى أكثر من الطبيب؛ لذلك يريد أنْ يصبح لاعب كرة قدم.

قلت له: اللاعب يتعب باللعب وتنقلاته من مكان لآخر كثيرة، الطبيب أفضل. سرعان ماتتغير قسمات وجهه ولم يقتنع بحديثي، فيلتفت يسألني ماالفرقُ بين الطبيب واللاعب؟

قلت له: الطبيب دائمًا ينقذ أرواحًا، واللاعب أحيانًا يسعد أرواحًا، وأحيانًا يخنقها بهزيمة دون انتصار!

قال لي متبسمًا: مَن يصفق للاعب أكثر ممَّن يصفق للطبيب!

قلتُ في نفسي: هالة الطبيب البراقة بدتْ تخبو، واتجه صغارنا للبحث عن الشهرة والمادة؛ فالرغبة في الشهرة انتشرَت بشكل واسع وهي على أمريْن؛ إما على حساب نشر مواقف فارغة لا تحمل مضمونا كالطفلة التي تلبس لباس غير محتشم وترقص، وإما أنْ تكون مستحقًّا لذلك؛ لما لديك من الإفادة والشخصية النافعة التي تؤثر في الآخرين.

قال الأصمعي: سمعتُ بعض الأعراب يقول: «من ولد الخير أنتج له فراخًا تطير بالسرور، ومن ولد الشر أنبت له نباتا مُرًّا مذاقه، قضبانه الغيظ، وثمره الندم»[1].

(١) البيان والتبيين ٢:٦٤٤

قهوة (ب)

بعد زيارتي الأولى لعمان مكثتُ فترة من الوقت، ثم عاودتُ الزيارة مرة أخرى، ينتابني شوقٌ كبيرٌ أقضيه في طبيعتها الساحرة ولي فيها مآرب أخرى، جلستُ حيث المقهى الذي مارس أنظمته بطريقة غريبة عندي مألوفة عندهم حين طلبتُ صحن (كبة).

جاء النادل إلينا حيث نجلس، فرحَّب على عادة أهل البلاد بطريقة حماسية ذكَّرتْني بحماس الشباب وتفاعُلهم مع فنون (الشيلات) عندنا.

طريقته في الترحيب تدعو للمكوث طويلًا في المقهى، وفي لباسه الذي يدعو للتأمل، حيث يرتدي قميصًا ناصع البياض مخططًا بخطوط عريضة اكتسَت اللونيْن الأحمر الداكن والأصفر، قصير الأكمام، يكشف عن عضلات قوية بوكزة منه يخرُّ الرجل صريعًا، يداه كبيرتان، ووجهه تغلب عليه الحمرة مشوبًا ببياض، أسنانه تكشف عن ابتسامة عريضة.

إنه أردنيُّ الأصل، بدويٌّ من أبناء الطبيعة، شاربه المهذب من الأمام ذو الجناحين أعطاه هيبة وقوة شخصية.

حين انتهى من ترحيبه قال بلهجته: أيش تشرب الحجة؟

شرعتُ أرمقه بانتباه وأقول في نفسي: أنا الحجة؟! ولماذا دعاني بهذا اللقب؟!

سكتُّ مليًّا بينما عيناي ترقب زوجي الذي تبسَّم ضاحكًا من قول النادل ابتسامة يملؤها الانتصار، حينها نسيت ماذا سوف أشرب، ألجمني الحياء عن عبارته، وكان لديَّ رغبة في أنْ أردَّ عليه وأقول: لستُ بالعجوز حين تدعوني بالحجة!

لكني اخترتُ الصمت، فسكت الغضب عني حتى انصرفتْ رغبتي عن شرب القهوة فطلبت منه لائحة الطعام، وحين شاهدتُ اللائحة لفت انتباهي من بين أصناف الطعام صنفٌ غريب جدًّا من أصناف أشد غرابة، قد تكون مستهجنة في بلادنا!

قرأت: لسانات غنم، ولكن! وقفتُ عند (ضفادع مطفاية بالحمص والكزبرة)

لأول مرة أقرأ اسم هذا الطبق!

مَن الذي أكل الضفدع ؟! وكيف تكون طريقة أكله! يداه أولًا أمْ رجلاه؟!

تساءلتُ في نفسي كثيرًا : هل الأطباق التي سوف تقدم لي، استُخدمت سابقًا لتقديم الضفادع، وهل وُضِعَت الضفادع في الثلاجة نفسها التي وُضع فيها بقية الأطعمة ؟!

تساءلت حتى أنفَتْ نفسي الطعام، وأخذتُ أفكر لو كنت بالفعل لم أجد إلا ضفدعًا للأكل؟!! وتذكرتُ أنَّ الرسول – صلّى الله عليه وسلَّم – نهى عن قتل الضفدع، واختلف العلماء في أكله.

رجع مرة أخرى لمناداتي بالحجة، في حين كنتُ غارقة في طريقة أكل الضفدع...

- ياحجة... أيَّ الأصناف اخترتِ؟!

فأجبته: انتظر مليًّا.

تذكرتُ قصة الضفدع الذي وصل قمة البرج العالي جدًّا، في حين بدأت الضفادع تسقط من الإعياء الشديد، وكل ماتسمعه من الحشود المتجمهرة لرؤية سباق التحدي: مستحيل، مستحيل، لايمكن أنْ يصل أيُّ ضفدع إلى قمة البرج المرتفع!، في النهاية سقطتْ كل الضفادع ماعدا ضفدعًا واحدًا بقي صامدًا حتى نجح ووصل قمة البرج وكسب التحدي، أرادت الضفادع المنهزمة أنْ تعرف السرَّ والسبب الذي جعله يصل إلى النهاية، ومن أين أتى بهذه القوة؟! اكتشف الجميع أنَّ الضفدع كان أصمَّ؛ أيْ أنه لم يسمع تلك الصرخات السلبية والتشاؤمية التي من الممكن أنْ تجعله يخشى ويخاف ويتراجع إلى الوراء.

كل ماتسمعه أو تقرؤه قد يؤثر عليك وعلى أفعالك، لاتسمع للآخرين مهما قالوا، كن أصمَّ، ولا تلتفت لأحد.

الناجح مَن يستطيع رؤية ماهو أبعد من أنْ يراه الآخرون، والتردد أكبر عقبة في طريق النجاح، اكتشف الناس الذين يجتهدون ويمضون بعيدًا عن السكون، واجعل روحهم شقيقة روحك كي تخاطب عقولًا كبيرة.

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

أكثرُ الناس يأنفون من الضفادع ويسخرون من شكلها، وهي من مخلوقات الله التي عُدت من أكثر الحيوانات تسبيحًا، لهذا أشار مفسرو الأحلام إلى أنه من رأى ضفدعًا في منامه فهو مبشَّر بأمور سارة، فإنَّ لها نشاطًا في الأرض، وصديقة للبيئة، حيث تتخلص من الحشراتِ الضارة، وتتنبأ بالزلازل والأمطار قبل وقوعها.

ذكَّرني طبق الضفادع الغريب بمدى ضَعف الطلاب في اللغة العربية، عندما قرأتْ إحدى الطالبات خاطرة أمير الشعراء أحمد شوقي، رحمه الله:

قالوا: استوى الليث على عرشه فجيء في المجلس بالضفدع
وقيل للسلطان: هذه التي بالأمس آذت عالي المسمع
تنقنق الدهر بلا علة وتدعي في الماء ماتدعي
فانظر إليك الأمر في ذنبها ومرة نعلقها من الأربع
فنهض الفيل وزير العلا وقال: ياذا الشرف الأرفع
لاخير في الملك وفي عزه إنْ ضاق جاه الليث بالضفدع
فكتب الليث أمانًا لها وزاد أنْ جاد بمستنقع.

قرأتُ الطالبة كلمة الضفدع: بالظاء، طلبت منها إعادة الجملة وتصحيح الخطأ فقالت: من غير عصا!!

يعجز البعض عن التفريق بين الحرفيْن كتابة ونطقًا، وكأنَّ عبارة: (العصا) أصبحَت السمة المميزة لهما.

حضر أعرابيٌّ سفرة، فنظر إلى شعرةٍ في لقمة الأعرابي، فقال: أرى شعرة في لقمتك يا أعرابيُّ، قال: وإنك لتراعيني مراعاة مَن يبصر الشعرة في لقمتي، والله لا واكلتُك أبدًا!. فقال: استرها عليَّ ياأعرابي، فإنها زلة ولا أعود إلى مثلها أبدًا[1].

عن أبي بكر الهذلي[2]، قال: إذا جمع الطعام أربعًا فقد كمل، إذا كان حلالًا، وكثرت عليه الأيدي، وسُمي الله على أوله، وحُمد على آخره.[3]

(١) العقد الفريد ١:٣٤٥

(٢) أبو بكر الهذلي المحدث، واسمه سلمى بن عبدبن حبيب بن هذيل، مات بالبصرة في خلافة أبي جعفر أمير المؤمنين (١٥٠ه).

(٣) البيان والتبيين ٣:٨٩١

رسائلُ عابرةٌ

أوصى أحدُ الصالحين بنيه قائلًا: «يا بَنيَّ، تباذلوا تحابوا، فإنَّ بَني الأم يختلفون، فكيف ببَني العلّات؟ إنَّ البر ينسأ في الأجل، ويزيد في العدد، وإنَّ القطيعة تورث القلة، وتعقب النار بعد الذلة، واتقوا زلة اللسان، فإنَّ الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك، وعليكم في الحرب بالمكيدة، فإنها أبلغ من النجدة، فإنَّ القتال إذا وقع القضاء، فإنْ ظفر فقد سعد، وإنْ ظفر به لم يقولوا فرط».[1]

كانت أجهزة التواصل قبل فساد معظم العقول وسيلة هينة للتواصل، والمكالمات ميسورة جدًّا لقلة الضغط، وموجزة ليسَت للسهرات الطويلة أو الأحاديث والرسائل المملة.

طالما وصلتنا رسائل شتى، ولم نحصل منها على مفيد أو حتى خير يذكر، ولم يكن فيها إلا الكلام الذي ينمُّ عن انتقاص الحق.

أصبح للرجل لقب وللمرأة لقبٌ تُعرف به من جرّاء تداول الرسائل، بات التخلف سمة ظاهرة في الرسائل الإلكترونية، والتي كثير منها تهزأ بأفراد المجتمع.

---

(١) البيان والتبيين ٢:٥٤٥

سياسة الوعي بعيدة كلّ البعد، نحتاج للوعي ثم الوعي؛ كي نقابل تلك الرسائل.

يذكر أحد الأشخاص موقفه من رسالة وصلته لم يعبأ في مضمونها، فلم يكن إلا أنْ أرسلها إلى أحد أصدقائه المقربين، حينها قرأ صديقه الرسالة التي كانت محطَّ استهزاء بالشاب السعوديِّ على الأخص، فكتب إلى صديقه رسالة:

(صديقي العزيز....نحن فئة الشباب السعوديّ مثال يقتدى به، ورسالتك التي أرسلت أتمنى وأرجو أنْ تقف إلى هذا الحد. بل في هذه اللحظة التي أرسلتها لي لا تجعلها غدًا عند شخص آخر – صديقي العزيز – رسالتك تنتقص من حقي وحقك وحقّ كلِّ شاب على أرضنا، أنا على يقين أنَّ هذه الرسالة لم تُكتب بأنامل سعوديٍّ، بل كُتبت بيد مَن أراد بنا سوءًا).

رسالة رائعة تقف بشموخ، فمِن مقتضى ما نطلبه من تبديل أساليب الرسائل، يجب أنْ لانبدل أفكارنا وقناعاتنا بكلِّ ما نسمع أو نشاهد من أمور سيئة.

علينا أنْ نتدارك أنفسنا قبل الزحف الذي بات وباءً، فالباطل دولة قد يطول اضمحلالها.

الرسائل تزداد يومًا بعد يوم، والمضمون يتجدد بأساليب قوية وحبكة ناجحة، الكلمات ملفتة مضحكة تنسي القارئ كلَّ ما يدور حولها، مَن يكتبها متمرس، بل قاصّ يجيد فنَّ كتابة القصة.

الحديث عن رسائل الاستهزاء بالشعب السعوديِّ سلسلة طويلة لانهاية لها.

قال أبو ذر الغفاري: «كان الناس ورقًا لا شوك فيه،فصاروا شوكًا لا ورق فيه»[1].

النظرة للمجتمع على أنه مجتمع متخلف تنمُّ عن تخلُّف صاحب النظرة، تلك الجملة التي أستطيع قولها أمام حشد هائل من الأقوال والقصص التي تنسج وتحكى كل يوم وليلة.

إنَّ طبيعة أوضاعنا التاريخية والسياسية وحتى الجغرافية، صقلتْ أشخاصًا فذة، فالإنسان الذي يريد أنْ يصنع من نفسه إنسانًا واعيًا يستطيع، والإنسان الذي يريد أنْ يصنع من نفسه إنسانًا متميزًا كذلك يستطيع، لا أحد يعجز عن شيء!

عندما يتكلم التاريخ عن أبطال الفتوحات التاريخية تجد المستمع الجيد والمشارك في الحديث بحماس وقوة، فكلُّ بطولة حققها التاريخ هي صورة لبطولاتٍ سابقة على مرِّ الأزمنة، تنتظر مَن يعيدها أستطيع أنْ أقلد سيرة بطل، وأستطيع أنْ أستفيد من حديث مناضل.

أحداثنا السياسية درس قاس لكل متشدق، والخوض في الأحاديث التي تتصل بالمجتمع الذي تعيش فيه جزءًا من حياتك السياسية. ومن جهة أخرى..لا ينبغي أنْ نعبث في ديننا ونكون أحد المروجين للشر والضلالة،

(١) المصدر السابق ٢:٥

علينا أنْ نفهم ما يدور حولنا...فقد يكون ضحكنا وإعجابنا بالرسائل على حساب ديننا وكرامتنا، وقد تصل للكفر والخروج من الملة.

قد تكون الخدمات المجانية سببًا في نشر البدع؛ لذلك لابد أنْ نستثمر الفرص لنشر الخير، بعيدين عن الخرافات.

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك يوم القيامة أنْ تراه.

وَبَشِّرِ الصّابرين

أقدارُ الله – تعالى – في خلقِه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب، وتتصرف بين موهوب ومسلوب.

غادية أحكامها الدنيا مرة بالمصائب والنوائب، رائحة أقسامها تارة بالعطايا والرغائب، ولكن أحسنها في العيون أثرًا، وأطيبها في الأسماع خبرًا، وأحراها بأنْ تكسب القلوب عزاء وتصبرًا[1].

قيل لبعض الأطباء وقد أنهكتْه العلة: ألا تتعالج؟ فقال: إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وإذا قدَّر الربّ بطل حذر المربوب، ونعم الدواء الأمل، وبئس الدواء الأجل[2].

حينها تذكرت واقعةً ألمت بي حزنًا فقد كانت طالبة من طالباتي هادئة الطبع، لا يُسمع لها همسٌ، عهدتها لا تتحدث مع أحد في القاعة الدراسية ولا تُحدث صخبًا، مطيعة لمن أمرها، تستجيب لكل أمر يطلب منها.

وفي يوم اختارها الله في ذلك الحين، كان الخبر في تلك اللحظة مفزعًا فأصبح له دويٌّ.

إنْ أنسى فلا أنس كلماتها حيث احتدَّ نقاشٌ بين طالبات شاكسنَ

---

(١) زهر الآداب ٢: ٢٦٩٠١١

(٢) المصدر نفسه ٢: ٨٦٤

في القاعة الدراسية، فقد كانت محاميًا وقاضيًا بينهنَّ - رحمة الله عليها رحمة واسعة - فقد حاولت إقناع صديقاتها بالخطأ الذي ارتكبنَه وقدمت لهنَّ النصيحة.

لقد أبكَت تلك الطالبة قلبي قبل عيني، بالفعل مصاب جلل! قضى الله فيه ما قضى.

أرسلتُ رسالة عزاء لوالدها، سرعان ما استجاب، وردَّ على الرسالة بالرغم من الألم الذي يعتصر قلبه، ظننته لا يرد نظرًا لمشاغله الكثيرة، والمعزين كثر والمشاغل أكثر.

أصبحت أفكر كيف توسدت تلك الطالبة التراب، وفارقت الأحباب، لازال صوتها في مسمعي، فارقت الحياة ولم تخض لُجَّتها، لم أكن أعرف أنها مريضة، كلُّ ما سمعتُه عنها أنها فارقت الحياة.

كيف أردُّ لك الجميل يا (لينة)؟! فقد حال بيني وبينك عالم البرزخ، أصبحت بعيدة، أمثالك نادرة في الاعتراف بحقِّ المعلم.

تبقى لينة ذكرى مؤلمة في خاطري، ونبضًا من الوفاء والنبل ولن أنساها ما حييتُ!

أيقنّا بالموت، ورحمها الله رحمة واسعة، وأسكنها فسيح الجنات، وعوض أهلها في الدنيا والآخرة أبقى.

قد تتوقف الحياة أمامَك في لحظاتِ الحزن، وسرعانَ ماتحسُّ بالانكسار الذي يبقى ساعاتٍ طويلة يعش معك في كل اتجاهاتك، حينها لابد أنْ لا تسلب نفسك حقوقها، تنتظر الأجل كل يوم فالموت آتٍ لامحالة، فلا تعيش التفاصيل وسلسلة عذاب قبل الرحيل.

كان عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول عند التعزية:

«عليكم بالصبر، فإنَّ به يأخذ الحازم، وإليه يعود الجازع[1]».

وقال للأشعث[2]: «إنْ صبرتَ جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإنْ جزعتَ جرى عليك القدر وأنت موزور[3].»

قالت أعرابية ترثي ولدها:

ياقرحة القلب والأحشاء والكبد ... ياليت أمك لم تحبل ولم تلد

لما رأيتك قد أدرجت في كفن ... مطيا للمنايا آخر الأبد

أيقنت بعدك أني غير باقيةٍ ... وكيف يبقى ذراعٌ زال عن عضد[4]

ولأبي العتاهية في رثاء ابنه:

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظاتٌ ... فأنت اليوم أوعظ منك حيا[5]

---

(١) الكامل ٣: ١٣٦١٢

(٢) الأشعث بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة ولد ٢٣ قبل الهجرة وأسلم عام الوفود وتوفي بالكوفة سنة ٦٦١ م (سير أعلام النبلاء، ٢:٣٧).

(٣) الكامل ٣ :١٣٦١

(٤) المصدر نفسه٣: ٢٥٤

(٥) العقد الفريد ٣: ٢٥٠

سلامٌ عليكُم... طِبْتُم

هل علمَت الخلائق أنَّ كثرة الخلافات بين أفراد المجتمع لأسباب شتى جعلَت أكثرهم يتناسيون حديث الرسول - ﷺ - خيركم مَن بدأ بالسَّلام. فتجد هذا يصدُّ عن ذاك ومن ذلك ينسون تطبيق سنة الرسول - ﷺ - وما هي إلا خلافاتٌ تزول مع مرور السنين، وإنْ بقيَتْ فهي تفاهاتٌ بشرية.

الناس فئاتٌ في السلام؛ تجد البعضَ منهم إذا قابل شخصًا سلَّم عليه وسأله عن أخباره بكلمات قليلة، وبعضهم لايترك لا شاردة ولا واردة إلا ويسأل عنها، فيضيع وقتًا من غير فائدة تُذكر، وهناك مَن يمنعهم الخجل ولا يلقون السلام فيتَهمون بالغرور، وفئة أخرى الغرور طبعهم يمرّون ولا يسلمون، وهناك مَن يسلم من غير نفس مقبلة.

تميز أفراد الشعب المصري بطريقة جميلة في السلام، حيث يبدؤون اللقاء بالسلام، وينهونه بالصلاة على الرسول الكريم أ وجدتُ ذلك حتى في أطفالهم.

أذكر أيام المرحلة الجامعية نصافح بعضنا أثناء السلام كل يوم، وهذا الأمر منتشر بين أكثر طالبات الجامعة ومما غفلنا عنه نحن يفتقده الكثير، فقد كنا نلفتُ الانتباه في طريقة السلام بصورة واضحة عند العاملات الأجنبياتِ اللاتي لا يجمعنا بهنَّ دين ولا لسان عربي، وفي

ذلك نجد راحة نفسية ومتعة في التواصل الاجتماعيِّ فيما بيننا فالبيئة حضن دافئ يربي كثيرًا من العادات.

أمّا الأطفال فالكثير لا يحسب لهم أمرًا في إلقاء التحية عليهم، وحتى إذا ألقيت لم تكن تحية الإسلام! مع أنَّ كثيرًا من الأطفال يفرحون بمن يلقي عليهم التحية ويأنسون بمن أعطاهم الثقة ويتعلمون سريعًا كيفية السلام وطريقة رده، ولقد كان - ﷺ - هو الذي يبدأ بالسلام على الأطفال حبًّا لهم وتلطفًا معهم.

أراد رجل الحج فسلم على شعبة بن الحجاج[1] فقال له: (أما إنك إنْ لم تعد الحلم ذلًّا، والسفه أنفًا، سلم لك حجُّك).[2].

لم تسعفنا همتنا وغيرتنا على تحية الإسلام؛ فالتحية الإسلامية اُستُبدلَت بالتحية الأجنبية التي أبعدتنا عن الأجر العظيم والثواب الذي نحن بحاجة إليه.

كان عليٌّ - رضي الله عنه - بالكوفة قد منع الناس من القعود على الطريق فكلموه في ذلك فقال: أدعكم على شريطة. قالوا: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: غضُّ الأبصار، وردُّ السلام، وإرشاد الضال. قالوا: قد قبلنا فتركهم)[3].

---

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد، كان من أوعية العلم، من نظراء الأوزاعي، ولد سنة ثمانين في دولة عبدالملك بن مروان، وتوفي بالبصرة سنة ستين ومئة من الهجرة. قال عنه الشافعي: لولا شُعبة لما عُرف الحديث بالعراق (سير أعلام النبلاء٧).

(٢) البيان والتبيين ٢: ٣٧١

(٣) المصدر السابق:٢: ٣٧

استَعينوا على حاجاتِكم بالكُتمانِ

قال الرسول - ﷺ - «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»[1].

كيف فهمنا هذا الحديث؟!

هل المطلوبُ التكتم على كلِّ الأمور؛ خيرِها وشرِّها، جميلِها وقبيحِها؟!

رأيتُ أصنافًا من الناس لا يستمتعون بكل ما أوتوا ويخفون دقائق الأمور وتفاصيلها، متناسين قوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.[2]

ورأيتُ أناسًا يتباشرون بالأخبار السعيدة فيما بينهم وكأنها بشرى العيد، أخبارهم تصل وتسمع مهما قل حجمها، متوكلين على الله في نفوسهم الطيبة التي لا يطرأ عليها غلٌّ أو حسد.

إنَّ لذة الفرحة بإشراك الآخرين، نحتاج أنْ نتقاسم السعادة مع مَن نحبُّ، نحتاج أنْ نسمع أحداثًا جميلة، ومناسبات تسر قلوبنا وتبهجها.

زارتْني إحدى النساء آخر العام الدراسي فسألتُها: كيف نتائج الأولاد؟

---

(١) حديث صحيح أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة٣، باب الأدب والاستئذان والصلة رقم الحديث ١٤٥٣ ص: ٤٣٦.

(٢) سورة الضحى: ١١

فقالت: يحتاج بعضهم إلى دور ثانٍ، والبعض على شفا حفرة من الرسوب!

أعلم علمًا يقينًا أنَّ جميع أبنائها متميزون دراسيًّا، لكنها ذكرت ذلك خوفًا من العين!

وقد كانت في بداية الحديث تتحدث عن سوء أثاث منزلها، وعن قلة دخل زوجها، بالرغم من ثرائه، مقابل ذلك تجد إفشاء الحاجات والأسرار مكشوفًا عند بعض الأشخاص والتي يُستحسن عدم التحدث عنها.

وقال عمرو بن العاص[١]: ما استودعت رجلاً سرًّا فأفشاه فلمتُه؛ لأني كنت أضيقَ صدرًا منه. قالت الحكماء: ما كنتَ كاتمه على عدوك فلا تُطلع عليه صديقك[٢].

حين استودعتُه إياه حتى أفشاه[٣] وكتب عبدالملك بن مروان[٤]

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل، داهية قريش، يُضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، هاجر إلى رسول الله مسلمًا مع خالد بن الوليد، وُلد ٥٩٢ م في مكة المكرمة، وتوفي سنة ٦٨٢ بمصر (سير أعلام النبلاء، ٣: ٥٥).

(٢) العقد الفريد ١: ٨٤.

(٣) العقد نفسه ١: ٥٤

(٤) عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، كان قبل الخلافة ناسكًا عابدًا بالمدينة، وُلد سنة ستة وعشرين في المدينة، وتوفي سنة ست وثمانين في دمشق. (سير أعلام النبلاء، ٤: ٢٤٧)

إلى الحجاج[1] بن يوسف:

ولا تُفشِ سرك إلا إليك فإنَّ لكل نصيح نصيحًا
فإني رأيتُ غواةَ الرجال لا يتركون أديمًا صحيحًا[2].

وأنا - والله - لم أكن أعرف التكتم، صغيرًا كان الحدث أمْ كبيرًا، ولي مواقف كثيرة في الحديث عن كثير من أمور حياتي وأمور مناسباتي، غير أني في الآونة الآخيرة أصبحت وسطًا.. فلا أدري هل تعاطيتُ أسلوبًا من أساليب البيئة؟!.. أم السبب أزمة الأحداث؟!

ولا أدري، هل أصيب بالعين إذا أعجبني شيء ما، لكني في كل الأحوال أذكر الله تعالى.

وقد يخيل إليَّ أحيانا أنَّ الإنسان من طبيعة حديثه ونقاشه من الممكن أنْ نكون على حذر منه فقسماتُ الوجه فاضحة وواضحة.

ومن الطريف، شكوى صديقة لي من زوجها شكوى مريرة، تقول إنَّ زوجها كثير النظر إليها، فخشيَت من العين!

وأذكر شخصًا مشهورًا بمدى قوة إصابته بالعين يدعى (خرمز) طلب منه أحد الأشخاص أنْ يذهب لفلان من الناس ويصيبه بالعين

---

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي، قائد أموي وخطيب وسفاك، ولد في الطائف سنة ٤١ه، نشأ بين أسرة كريمة من بيوت ثقيف، حفظ القرآن الكريم على يد أبيه وتردد على حلقات العلم، توفي سنة ٧١٤ م في العراق. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٢: ١٧٦).

(٢) العقد الفريد ١: ٣٣.

انتقامًا منه، فذهبا إلى مكان الشخص، وكان الجو مغبرًا تكاد تنعدم الرؤيا فيه، اقتربا من الشخص قال: هذا هو، انظُر إليه لعلك تصيبه بالعين.

فقال خرمز متعجبًا: وكيف رأيتَه في هذا الجو المغبر؟!

فما كان منه إلا أنْ أصابه بالعين من جرّاء تعجُّبه، وترك الشخص المقصود!

فتاوى

خطب الحجاجُ يومَ جمعة فأطال الخطبة، فقال رجل: إنَّ الوقت لاينتظرك، وإنَّ الربَّ لايعذرُك. فحبسه، فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا: إنه مجنون.

فقال: إنْ أقرَّ بالجنون خليتُ سبيله.

فقيل له: أقرَّ بالجنون؟! قال لا والله، لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني[1].

إذا خطب الإمام قائلًا: قال الله وقال الرسول - ﷺ - فعلينا السمع والطاعة، وأنا على ثقة أنَّ أكثر القراء يوافقونني الرأي في هذا الأمر.

تراجُع كثير من المشايخ في بعض الفتاوى يجعلنا أكثر حذرًا في اتباع أمور ديننا.

لستُ من الذين يتحدثون خلف ظهور أولي العلم، لكن اتِّباع الأسلم في ديننا خيرٌ من اجتهاداتِ كثير من العلماء الذين أضاعوا أوقاتهم في المناوشات.

إنَّ اتباع الوسطية في ديننا خير من تشدُّد بعض المشايخ الذين شتَّتوا كثيرًا من الشباب فذهبوا ضحية أفكار ضالة؛ نتيجة الجهل بالأساليب الشرعية الراقية في التعامل مع الناس.

(١) البيان والتبيين ٢: ٦٣٨.

إنَّ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف يحتاج وعي؛ لأنه فنٌّ وفكر لا يجيده كلُّ مَن قصَّر الثوب وأعفى اللِّحية.

منهم مَن يقضي جُلَّ وقته في التركيز على أمر معين، ويُحمِّل المسألة مالا تحتمل، وينسى أمورًا نحن بأمسِّ الحاجة إليها.

أو تجده مساءً في أحد القنوات على الهواء مباشرة يأمر وينهى، وأحيانًا يتراقص مع أنغام وطرب.

هذه الأمور نلحظها عند مَن كان حديث عهد بالتجربة التي يخوضها بعضهم، جاهلٌ بنفسياتِ الخلق فيرفع صوته بأعلى ما يكون في الخطب، وهذا ليس من سُنَّة الرسول - ﷺ - فالمطلوب الترغيب وليس الترهيب، أو يُطيل الخطبة، ويتكلف في القراءة، ويهمل تسوية الصفوف.

ناهيك عن الذي يضيع أوقات أكثر الخلائق فيتقمص الفتاوى التي تناسبُه، ناسيًا قال الله، وقال الرسول ﷺ.

من الناس مَن تاب بسبب خطبة سمعها كان الخطيب فيها من أعظم الدعاة إلى الخير، يلفت الانتباه بكلماته المرغبة وعبارته التي تجعل الإنسان يشتاق إلى الجنة، ويفكر في نعيمها يكثر من جمل الثواب العظيم ورحمة الله الواسعة، يتبسم بناظرين تبعث السرور.

ومن الناس مَن ارتدَّ وعصى بسبب خطبة كان الخطيب لايعرف فيها إلا أهوال يوم القيامة، ولايتحدث إلا عن النار والجحيم الذي تقشعرُّ منه الأبدان، فيزرع الخوفَ في نفوس القلوب الضعيفة التي

احتاجت مَن يقويها ولايوهنها وهنًا على وهن، يرهب الكبار، ويفزع الأطفال، صراخه يصل أبعاد المسافات فيغلق باب التوبة لكل مَن عزم عليها، ويوصد أبوابًا عدة كان من شأنها أنْ تفتح أملًا في الرجوع لله وترك المعاصي.

علينا ألّا نغفل عن العلماء والمشايخ الذين لمعَت أسماؤهم وهم بعيدون عن الخطوط الحمراء ومنابع الشك، الذين بالفعل همهم إصلاح الخلق وتيسير أمورهم. يدركون حقيقة فنِّ التعامل مع الآخرين من غير تشديد أو تفريط، هؤلاء الفئة نحن بأمسِّ الحاجة إليهم.

يقول الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال وترة وحي الملاحظ خيفة الرقباء.[1]

(رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير اللفظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه[2]).

ومن القبائل المشهورة في الخطبة: إياد وتميم، وقد ذكر أنَّ لهم من الخصل في الخطب ما ليس لأحد من العرب، لأنَّ الرسول - ﷺ روى كلام قسّ بن ساعدة، وقد أعجب من حسنه وأظهر من تصويبه؛ فقد كان يحتج للتوحيد، ويظهر معنى الإخلاص، وإيمانه بالبعث، ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبة.

---

(١) المصدر السابق ١: ٥٦

(٢) المصدر نفسه ١: ٦٣١

ومن الخطباء الشعراء، ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمر العتابي.

ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر إليه الأشراف: أعشى همدان.[1]

خطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال: (لقِّنوا موتاكم قول لا إله إلا الله). فقالت أم الجارية: عجَّل الله موتك! ألهذا دعوناك[2]؟

وقال مولى لخالد بن صفوان: زوّجني أمتَك فلانة. قال: قد زوجتكها، قال: فأدخل الحيَّ حتى يحضروا الخطبة؟ فقال: أدخلهم. فلما دخلوا، ابتدأ خالد فقال: أما بعد، فإنَّ الله أجلُ وأعز من أنْ يُذكر في نكاح هذين الكلبين، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة.

---

(١) أبو المصبح عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهمداني أعشى همدان من شعراء العصر الأموي (سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي ٤: ٣٢٤).

(٢) البيان والتبيين ٢: ٥٩٦-

هرمونُ السعادةِ

تزاحمَت في الآونة الأخيرة الدوراتُ التدريبية في البحث عن السعادة عن طريق الإيحاء النفسي.

شاهدتُ دورة الإيحاء النفسي لجلب السعادة، ولحظتُ عشراتِ الناس متجمهرين للتسجيل في تلك الدورة، بالرغم من كثرة المحظوراتِ الشرعية التي اختلطت بها، في حين أنَّ المسجلين في دورات لحفظ القرآن الكريم وختمه أو تعلم التجويد عدد قليل جدًّا لا يُذكر!

لم تكن تلك الدوراتُ إلا مبادرات شخصية وهمية قد لا تنفع في كلِّ الأمور، ولا تتناسب مع كل الظروف، تتطلب فعل إيماءاتٍ وحركاتٍ عشوائية، وقد تُشعرك بالسعادة لحظاتٍ ثم تنجرف مع تيار الأوهام.

أعجبني قولُ أحدهم في تلك الدورات: (السعادة تبدأ منك؛ فأنت قادرٌ على أنْ تُسعد نفسَك).

وقوله في آخر الدورة: (السعادة في سجدة لله تعالى).

نحن لاننكر أمورًا قاهرة تُشعرنا بالحزن فنبدأ بالبحث في كل جنبات الأرض عن حلٍّ، وعن طريق نسلكه للسعادة.

ولا ننكر بحثنا عن السعادة في كل وقت وفي كل مكان، ومفاتيحها بين أيدينا.

كلُّ ما في الدنيا يذهب ولا يعود، لا يبقى للإنسان إلا العمل الصالح الذي ينفعه ويسعده في آخرته.

نعمل منذ الصباح وقد نجري خلف أوهام، ولا يهدأ لنا بالٌ إلا إذا هدَّنا التعب؛ فنسقط كالموتى نائمين.

وشاهدتُ دورة تدريبية أخرى في حبِّ الذات، وكأنَّ الإنسان لم يُجبَل على حبِّ النفس حتى يتعلمها، ذهب الكثيرون لمثل هذه الدورات، وأداروا عطفهم عن أُسَرهم وأقاربهم وأسرفوا في تعظيم النفس والمبالغة في تدليلها حتى نشبت بينهم البغضاء والعداوة.

أكثر طرق السعادة وهمية!

إذا كان الشعور بالبهجة لسبب ما يشعر بالسعادة، فنحن نستطيع أنْ ننتقي الأسباب.

تعلمنا أنه مَن يسبح ويكثر من الاستغفار تفتح له أبواب الرزق، ونقرأ كأننا صرعى قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[1] كلُّ ذلك غفلنا عنه!

قد يكون طريقك للسعادة الوحدة التي من الممكن أنْ تجد نفسك تلتزمها في بعض الأحايين. ممكن أنْ تقرأ كتاب يعدل مزاجك، وكتاب آخر تقرأه يزيد من خفقان قلبك، وآخر يهوي بك بعيدًا عن عالمك إلى عالم آخر.

---

(١) نوح:١٠

كنت أرى سابقًا الأطفال في صالاتِ الانتظار يقرؤون القصص المسلية ريثما تبدأ الرحلة، فينمو عقل الطفل بتفكير مبدع، ويزيد من حصيلة مفرداته اللغوية التي تعينه على إتقان فنِّ الحوار، فتكثر أسئلتهم التي تعد مهارة منهم فينشأ جيل واثقًا من نفسه، ومع ذلك باتت متعة قليل من الناس قراءة الكتب مع أنه خير جليس.

لم أشكُ يومًا من الوحدة، إلا أنَّ الاتهامات التي تُلقى عليَّ كثيرة، وهم لا يعرفوا أني أجد جنة الدنيا يوم أجلس مع كتاب وأقرأ.

قال لقمان لابنه: استعِذْ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر.

وقال إبراهيم بن أدهم[1]: فرّ من الناس فرارك من الأسد.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: لمَ تجتنب الناس؟

فأنشأ يقولُ:

ارْض بالله صاحبًا وذر الناس جانبا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا[2]

قال العتابي[3]: ما رأيتُ الراحة إلا مع الخلوة، ولا الأنس إلا مع الوحشة.

---

(١) إبراهيم بن الأدهم بن منصور بن زيد بن جابر، أحد علماء السنة والجماعة ولد سنة ٧١٨ في بلخ وتوفي سنة ٧٨١ في شبه الجزيرة (سير أعلام النبلاء، ٧: ٧٣٨٨).

(٢) العقد الفريد ٢:

(٣) العتابي، هو كلثوم بن عمرو بن أيوب، شاعر مترسل بليغ مطبوع من شعراء الدولة العباسية، ولد سنة ١٣٥ه (تاريخ بغداد، ١٢: ٢٨٨).

وقيل له: مَن تجالس اليوم؟

قال: مَن أبصق في وجهه ولا يغضب!

قيل له ومن هو؟ قال: الحائط[١].

وقيل لدعبل الشاعر[٢]: ما الوحشةُ عندك؟

قال: النظر إلى الناس، ثم أنشأ يقول: ما أثر الناس لا بل ما أقله، الله يعلم أني لم أقل فأنشد: إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدًا.

لم أبك في زمن لم أرضَ إلا بكيتُ عليه حين ينصرم[٣]

أعجبَت عائشة ببيت للبيد[٤] قائلة: رحم الله لبيدًا كان يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب[٥]

وقد تكون السعادة عند أكثرهم السفر إلى سويسرا وتركيا ولبنان.

فأصبح السفر من ضروريات السعادة عند أكثر الناس بعدما كانوا

---

(١) العقد الفريد ٢:٣٢١.

(٢) دعبل الخزاعي، اسمه محمد بن علي بن رزين، من مشاهير العصر العباسي، ولدسنة ٧٦٥م، وتوفي سنة ٨٣٥م (معجم الأدباء، ٤: ١٩٦).

(٣) العقد الفريد ٢ :٣٢٢

(٤) لبيد بن ربيعة، صحابي وأحد الشعراء الفرسان، ولد سنة ٥٦٠م، وتوفي سنة ٦٦١م (الكامل في التاريخ ١: ٢٦٥).

(٥) العقد الفريد ٢: ٣٣٠

لايعرفون غير اجتماع الأسر في بيوتهم، بل البعض يقترض من البنك ليعيش مجال المفاخرة، وهي السعادة التي يبحثون عنها.

وقالوا: السفر قطعة من العذاب، وصاحب السوء قطعة من النار.[1]

قد يكون شكر النعمة طريق السعادة، والتقصير في العبادة والطاعات هو البوابة الأولى للهموم والتعاسة.

ويبقى أنْ نؤمن بحقيقة ربما لاندركها، أو نحتاج التذكير بها، لا توجد مشكلة في العالم عصية على أحد، فتلك الفكرة تُعَدُّ سعادة.

(١) البيان والتبيين ٢: ٤٦٩

فنُّ الراب منقِذُ مَن لا حيلةَ له في الشِّعر

منذ عرفنا الشِّعر ونحن نقول: الشِّعر موزون ومقفى، فإذا كانت الكلماتُ موزونة بمجرد أنها تنتهي بالحرف نفسه عُدت موزونة عند أهل الراب، وهذا من العجب!

إذا كان (بحر الرجز) حمار الشعراء كما يعدُّه العروضيون، فماذا اعتبر وزن فن الراب في أوزان الشِّعر؟!

فنُّ الراب انتشر سريعًا في أمريكا وبالأخص في نيويورك، وسبب الانتشار انعدام الدراسة الجيدة التي تقدم مادة قوية، فالألفاظ تأتي طوعًا وتلاعبًا لأجل أنْ تنسجم مع القافية.

الغناء على ثلاثة أوجه: النصب والسناد والهزج. فأما النصب فغناء الركبان والقينات. وأمّا السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات. وأمّا الهزج فالخفيف كله، وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم وإنما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى ودومة الجندل واليمامة، وهذه القرى مجامع أسواق العرب[1].

قال الخليل بن أحمد: الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنى شاؤوا، وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم، من إطلاق المعنى وتقييده، ومن

(١) زهر الآداب ٢:٩١١

تصريف اللفظ وتعقيده، ومد مقصوره، وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته[١].

وقيل عن أجود الشعر: أجود الشعر ما كان أملس المتون، كثير العيون، لا يمجه السمع، ولايستأذن على القلب[٢].

قال النبي - صلى اله عليه وسلم - وذُكر عنده امرؤ القيس بن حجر: «هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم». وقال عمر بن الخطاب للوفد الذي قدموا عليه من غطفان: مَن الذي يقول:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب[٣]

وكان أول مَن غنى في العرب قينتان لعاد، يقال لهما الجرادتان، ومن غنائهما:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما[٤]

وإنما غنتا بهذا حين حبس عنهما المطر، وكانت العرب تسمي القينة الكرينة، والعود الكران.

وكان أول مَن غنى في الإسلام الغناءَ الرقيق: طويس[٥]، ويُكنّى أبا

(١) المصدر نفسه ٢: ٦٣٣

(٢) المصدر نفسه ٢: ٦٣٣

(٣) المصدر نفسه ٢ ٦٣٣

(٤) المصدر السابق ٢:٥٤

(٥) طويس، اسمه: عيسى بن عبدالله، وطويس لقب غلب عليه، توفي سنة توفي سنة اثنتين وثمانين (الأغاني ٦ :١٤٧).

عبدالنعيم، ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الإسلام:

قد براني الشوق حتى كدتُ من شوقي أذوب[1]

سمعت أحد الأشخاص يتساءل كيف أصبح (رابر)؟!

إذا قرأت أو سمعت شيئًا من فنِّ الراب، وجدت الشعر والنثر والكلام والغناء واللحن الصاخب والصراخ.

أما عن التذوق لذلك الفن؛ فالأذن في الوقت الحالي أصبحَت تطرب للضجيج أكثر من الهدوء، لذلك سموا الراب فنًّا وجعلوا له وزنًا، لأنَّ له أهله.

فنُّ الراب يذكرنا بفن الشيلات التي أصبح لها جمهور من كل الفئات، تطرب لها الأذن، وتأنس بها الجلسات، أصبحت المحفزة لأمور كثيرة، وخاصة عند فئة الشباب.

ما السرُّ الذي جعل الناس تنكب على فن الشيلات بطريقة ملفتة؟!

ربما حاجة الناس لتفريغ المشاعر، وحب المدح والذات، ورفع الصوت وكل ذلك طريقة لتفريغ المشاعر والتخلص من الطاقة السلبية.

لها طابع شعبيٌّ منذ القدم، ولكنها لم تندثر، تسمع الشيلات في الشارع وفي العمل، وعند الصغار والكبار، وفي كل مكان لها قبول اجتماعي ومرونة، وكل لون منها له جمهوره الخاص به يعبر عن أهل منطقته أو عن شعور أوحادثة أو موقف، وكلٌّ له نكهته المميزة به.

---

(١) العقد الفريد ٣: ٦٠

وقد طغَت على القصائد التي تمثل الحداثة والمدنية، والأعظم من ذلك التجاوزات الشرعية التي قد تكون في بعض المفردات التي يرددها الصغار والكبار دون وعي.

لاشك أنَّ هذيْن الفنيْن أفسدا اللسان العربي وبشدة! تجد الحروف التي أصلها الترقيق أصبحَت تفخيمًا، ناهيك عن انفلات المحتوى الذي طغَت عليه العنصرية، والتلاعب في قسمات الوجه التي تستدعي الصخب أكثر الأحيان، وكثير منها تحمل المبالغات الممقوتة في المدح والفخر والهجاء.

لم تعُد الأجيال تكرر قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأنطقت كلماتي من به صمم

وقول أحمد شوقي:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس للأخلاق تستقم

وقوله:

إنَّ الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسرَّه في الضاد

وقول الإمام الشافعي:

قد مات قوم وماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

إن أنسى فلا أنس التقطيع الموسيقي في البيت الفصيح أيام كنا في المرحلة الجامعية، في قول سلامة بن جندل[1]:

---

(١) سلامة بن جندل بن عبدعمرو، أبو مالك من بني كعب التميمي، توفي سنة ٢٣ق.ه، شاعر جاهلي (الموسوعة العربية ١١: ٥٦٧).

كنا إذا ما أتانا صارخٌ فازعٌ كان الصراخ له قرع الظنابيب[1]

الطريف في الأمر..وربما المخيف! أنَّ طلاب الابتدائية أصبحوا يلبسون الأناشيد المنهجية لباس الشيلات في طريقة الإلقاء، الإلقاء الذي بات على طريقة واحدة حماسية، تُرهق الذهن، وتُتعب القلب، مماجعلهم يفتقدون الألقاء الجيد المعروف.

(١) زهر الآداب ١: ٢٢

المعاني مطروحةٌ في الطريقِ

قيل لعمرو بن عبيد[١]: لقد وقع فيك أيوب السختياني[٢] حتى رحمناك، قال: إياه فارحموه[٣].

أذكرُ في يوم من الأيام وقد كنتُ أنشر في رسالة الجامعة وصحيفة الرياض عددًا من المقالات بين الاجتماعية والثقافية والنقدية... نشرت ذات يوم مقالة بعنوان: (مهلًا بعد هذا التدلل!) وتلك الجملة اقتبستها وضمنتُها لمقالتي، وهي شطر من بيت شعريٍّ معروف ومشهور، من قصيدة امرئ القيس التي يقول فيها:

أفاطم مهلًا بعض هذا التدلل وإنْ كنتِ قدأزمعت صرمي فأجملي[٤]

وقد كانت مقالتي ردًّا ونقدًا على مقالة دكتور في الجامعة الذي كتب مقالة يرد فيها على مقالة لي سابقة نقدتُ بها (مركز دراسة الطالبات) فقد

---

(١) عمرو بن عبيد، الزاهد العابد، كبير المعتزلة، توفي سنة ١٤٤ه (سير أعلام النبلاء ٤٤:١٠٦).

(٢) أبو أيوب السختياني، سيد من سادات التابعين، ولد سنة ٦٨٥، وتوفي سنة ٧٤٨م (سير أعلام النبلاء ٦: ١٦).

(٣) العقد الفريد ٢ :٣٦٢

(٤) المصدر نفسه ٢:٢٣٩

كان المبنى يفتقر للكثير من الخدمات التي تحتاجها الطالبة، في حين يحظى مركز الطلاب بالكثير من وسائل الترفية، ومع ذلك كان الطلاب يشتكون ويتذمرون، وقد كتبت المقالة مخاطبة الطلاب، وعلى رأسهم الدكتور (كيف بكم تشتكون وتتذمرون وقد وصلتم مرحلة التدليل!).

انتشرَت المقالة سريعًا، وقد أساء لمقالتي تلك أناسٌ ونقادٌ كثيرون؛ فلم يفهموا معانيها ولم يثقفوا أنفسهم على طرق استخدام فنون البلاغة، على أني لا أعلم علم اليقين ماذا يريدون؟ وهم كثيرون!

رحم الله الجاحظ عندما قال: (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي)[1].

تبقى فئة تفتقد الذوق البلاغي والاجتماعي، فالاقتباسُ من الشِّعر يشير إلى فنٍّ بلاغيٍّ اسمه: (التضمين) ويسميه البعض: (اقتباس).

قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال أنْ لا يؤتى القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل.[2]

قيل لبعض الحكماء: فلان يعيبُك، قال: إنما يقرض الدرهم الوازن.

نحتاج كثيرًا من الوعي الذي يجعلنا نفهم ما يدور حولنا، كلٌّ يستعمل اللفظ على حسب بيئته وعاداته وسلوكه غير مُبالٍ بالقيم الاجتماعية، وبالآداب والأخلاق.

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٢٢٤

(٢) زهر الآداب ١: ٢٣٤

وقد قيل في الآداب، وفهم القول: (إنَّ من إمارات الحزم وصحة الرأي في الرجل تركَه التماس ما لا سبيلَ إليه؛ إذا كان ذلك داعية لعناء لا ثمرة له، وشقاء لا درك فيه، وقد سمحت في أمر تخبرك أوائله عن أواخره، وينبيك بدؤه عن عواقبه، لو كان لهذا الخبر الصادق مستمع حازم، ورأيت رائد الهوى مال بك إلى هذا الأمر ميلًا، أيأس من رغب فيك، والله يوفقك لما يحب، ويوفق لك ماتحب)[1].

(١) المصدر نفسه ٢:٢١٣

مجالسُ

أبدأ الكلام وفجأة تكمل الأخرى إذا سكتُ سكت الجميع، وإذا تحدثتُ تحدث الجميع، وأغلب الأحيان الكل يتحدث والمستمع واحدة من النساء، لا أذكر في يوم إلا ما ندر، أنْ أتكلم ولا تقاطعني إحداهنَّ، وكثيرًا ما تبقى قصتي مبتورة، هكذا تشعر كلُّ أنثى في مجالس النساء.

المرأة يحلّيها الحياء في كل المواقف وكل الأماكن، وفي المقابل تتكلم أغلب النساء في القضايا الخاصة متصورة أنَّ ذلك يلفت الانتباه سواء كان ذلك تصريحًا أو تلميحًا، فالتي لم تُرزَق تنهال عليها الوصفات والعلاج في كل مجلس.

والتي رُزقت، جُلُّ أحاديثها عن غيرة الطفل الذي يكبر المولود، وما خلا مجلس نساء قَطُّ من شرح قصص الولادة التي لا تخلو من المبالغة الممقوتة، أذكُر إحداهنَّ بالغَت في قصة ولادتها وكأنها الوحيدة التي ولدت وأنجبت!

قالت: زوجي حضر معي في غرفة الولادة، وبينما هو يمسح جبيني، اختطفتُ يده وأطبقتُ أسناني على أصابعه حتى كدتُ أنْ أبترها له!

ثم وجدت نفسي أصيح بأعلى صوتي قائلة: (أنت السبب!... أنت السبب!)

ليس كل حكاية نصغي لها نصدقها!

أما إذا كانت واحدة بينهنَّ تعمل طبيبة، تجد كل الأحاديث عن الأمراض والوباء، وهي المسؤولة دائمًا، وقد تُرهق في آخر الجلسة.

أعرف طبيبة اعتزلت المجالس وسكنت بيتها؛ بسبب الأسئلة التي تنهال عليها من كل جانب!

أمّا غيبة الزوج وسبه وشتمه وذكر عيوبه؛ فهي واردة في كل مجلس من مجالس النساء.

ناهيك عن التي تتقن صنع بعض الأطباق الشهية، وإذا سألتُها إحداهنَّ عن مقادير طبق ماأعجبها فسرعانَ ما تُسقِط شيئًا من المقادير تعمُّدًا؛ حتى لا يتقن صنعَه غيرُها؟!

وتبقى بعض النساء طويلة النفس تتحدث جُلَّ الوقت، وقد تكرر الحديث والقصص ومعظم الأحيان تجد هذه الصفة بمن تعمل في سلك التعليم، تتحدث ولا تترك شاردة ولا واردة إلا وذكرتها في سبِّ زوجها وطعنه، ثم توصي صديقاتها بكفارة المجلس!

وكثير من نصائح النساء تنتهي بخراب البيوت، فإذا كانت تجلس بينهنَّ من تزوَّج عليها زوجها، تستطيع أنْ تأخذ دورة في تلقّي الخطط والحيل حتى تكاد كبيرهم الذي علمَهم السحر!

قيل: إنَّ أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب[١] حيث يقول:

فإن تسألوني بالنساء فإنني عليمٌ بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب[٢]

مَن كثُر ضحكه قلَّتْ هيبته، ومَن أكثر من شيء عرف به، ومَن كثر مزاحه كثر سقطه، ومَن كثر سقطه قل ورعه، ومَن قلَّ ورعُه ذهب حياؤه، ومن ذهب حياؤه مات قلبه[٣].

وصف الأصمعي[٤] النساء قائلا: بنات العمِّ أصبر، والغرائبُ أنجب، وما ضرب رؤوسَ الأبطال كابن الأعجمية[٥].

ووصف الحجاج النساء قائلا: عندي أربع نسوة: هند بنت المهلب، وهند بنت أسماء بن خارجة، وأم الجلاس بنت عبدالرحمن بن أسد، وأمة الله بنت عبدالرحمن البجلي، فأما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان، يلعب ويلعبون. وأما ليلتي عند هند بنت

---

(١) عبدة بن الطبيب، شاعر مخضرم، اسمه يزيد بن عمرو من بني تميم، (الأغاني ٢٨: ٢١)

(٢) العقد الفريد ٦: ١٠٦

(٣) – البيان والتبيين ٢: ٥٤٤

(٤) الأصمعي، هو عبدالملك بن قريب الباهلي، راوية العرب، ولد سنة ٧٤٠م بالبصرة، وتوفي سنة ٨٣١م بالعراق (معجم الأدباء ٣: ٣٤٥).

(٥) العقد الفريد ٦: ١٠٧

أسماء، فليلة ملك بين الملوك، وأما ليلتي عند أم الجلاس، فليلة أعرابي مع أعراب في حديثهم وأشعارهم. وأما ليلتي عند أمة الله بنت عبدالرحمن بن جرير، فليلة عالم بين العلماء والفقهاء.[١]

الشكوى من الطرف الآخر أصبحَت ظاهرة روتينية مملة، لم تعُد شيئًا جديدًا في عالم النساء.

أربعة منهم محور أحاديث النساء؛ الرجل البخيل في عواطفه يبعث الملل بعد حين، والرجل الكريم الذي يبعثر ماله، والرجل الذي يشكُّ ولا يقبل النقاش، والرجل الذي يمكث طويلًا على جواله!

قالت امرأة لزوجها: مالك إذا خرجت إلى أصحابك تطلقتَ وتحدثتَ، وإذا كنت عندي تعقدتَ وأطرقتَ؟ قال: لأني لأدقُّ عن جليلك، وتجِلّين عن دقيقي[٢].

احتارت النساء في تصرفات، الزوج ولم يخطر لهنَّ على بال أنَّ الرجل نفسه أيضًا يحتار في تصرفات المرأة!

لن أتحدث عن المثالياتِ المطلوبة في كليهما، ولكن إذا عرف الرجل المرأة بظروفها النفسية وتركيبتها الفسيولوجية أصبح رحيمًا مشفقًا عليها، والمرأة إذا كانت مُقَدِّرةً للرجل زالت الهموم والخلافات.

---

(١) المصدر نفسه ٦:٣٢

(٢) البيان والتبيين ٤:٦٥

ذكر أعرابيٌّ نساء فقال: ظعائن في سوالفهنَّ طول، غير قبيحات العطول، إذا مشينَ انتعلنَ وإنْ ركبنَ أثقلنَ الحمول[١].

ووصف آخرُ النساءَ فقال: دخلتُ بغداد فرأيتُ فيها عيونًا دعجًا، وحواجب زُجّا، يسحبنَ الثيابَ، ويلبسنَ الألباب[٢].

هي روضةُ الحسن، وضرة الشمس، وبدر الأرض وهي من وجهها في صباح شامس، ومن شَعرها في ليل دامس، كأنها فلقة قمر على برج فضة.[٣]

قال عمر لرجل همَّ بطلاق امرأته: لم تطلِّقُها؟ قال: لا أحبها؟ قال: أوَ كُلُّ البيوت بُنِيَتْ على الحبِّ؟ فأين الرعاية والتذمم؟[٤]

قليلٌ الحب بين الأزواج؛ لكن الاحترام والتوفير هو المطلوب، نحتاج إلى هواء أنقى في مجالسنا.

قال أحد الصالحين: (إذا أنكر القائل عيني المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه، وعن السبب الذي أجرى ذلك القولَ له، فإنْ وجدَه قد أخلص له الاستماع أتمَّ له الحديث، وإنْ كان لاهيًا عنه حرمَه حُسنَ الحديث، ونفْع المؤانسة، وعرفه بسوء الاستماع، والتقصير في حقِّ المحدث)[٥].

---

(١) زهر الآداب ٢:٤١٧

(٢) المصدر نفسه ٢:٤١٧

(٣) المصدر نفسه ٢:٧٢٩

(٤) البيان والتبيين ١:٤٥١

(٥) المصدر نفسه ١: ٤١٢ ٥

قالت الحكماء: لم تُنهَ امرأة قَطُّ عن شيء إلا فعلتْه.

وقال طفيل الغنوي:

إنَّ النساء متى ينهين عن خلق فإنه واقع لابدَّ م-فعول[1]

ومن الممتع أنني كنتُ أشرح ذات يوم للطالبات (علاماتُ الترقيم في مادة التحرير الأدبيِّ) وقد وجهتُ لهنَّ سؤالًا...أيهما تبدو لديه علامات الترقيم واضحة أثناء الحديث؛ مجتمع النساء أمْ الرجال؟

فانهالت الإجاباتُ...

- عنصر النساء أكثر؛ فالمرأة تصف أكثر من الرجل، وإذا وصفَت استخدمَت عدة فواصل.

- المرأة تستخدم علاماتِ التعجب أكثر؛ فليس كلُّ موقف تتعجب منه المرأة يتعجب منه الرجل.

- المرأة تعطي الاستفهام الاستنكاريَّ حقَّه وبإخلاص؛ فجُلُّ أحاديثها استفهاماتٌ تعلم إجاباتها، لكنها فقط تتعجب وتستنكر.

وقد أشرتُ لهن أنَّ بعض النساء قد تضعف عند علامة الترقيم (النقطة) ولا تعطيها حقها، أو بالأصح ليس لها رغبةٌ في إنهاء الحديث فهي تتحدث وتتحدث، لا تبالي بالمستمع! تنتهي الجلسة وهي مازالت تتحدث، وربما في الجلسة القادمة تكملها.

---

(١) العقد الفريد ٤: ٤٣

قدرةُ الله

أشرقَت الشمس، ومدَّت الأشجار ظلَّها في يوم جديد، وسابقَت الطيور بعضها تبحث عن رزقٍ مكتوب أجله، تأملت كيف حلقتْ تلك الطيور، لا تنظُر يمنة ولا يسرة، كلُّ همها ذلك الرزق قوت صغارها.

تعلمتُ أنَّ قدرة الله عظيمة عندما رأيتُ الطير يحلق فوق شلالات الماء التي رسمَت قوس الرحمن بألوانه الزاهية، وفرشَت الأرض عشبًا أخضرَ ازدان بالزهور الملونة.

سماء تزينتْ بكواكب، ورُفعت من غير أركان، ريح باردة تُنعشك في الصيف، وزمهريرها يوقظ مشاعرك الغافلة في الشتاء، زرقة السماء، وخضرة الأرض تدعو للتدبر في قدرة الله.

نخضع له بسجود وركوع ولا نَفِي جزيلَ الشكر، كل شيء إشارة لقدرة الله.

مصائب الحياة تجري بقدرته، ومن النعمة سرعانَ ما ننسى جروحًا ألمت بنا، من النعمة أنْ نعاني من قلة الأمطار، ولا نعاني من تشريد الحروب.

ومن النعمة علينا ولطف الله بنا أنْ نشتري علب الماء، ونترك القليل الفائض عن حاجتنا، تبقى ظاهرة مؤلمة أخشى أنْ يأتي يوم نتمنى ولو قطرة من الماء الذي تخلينا عنه.

احترام النعمة أمر يحتاج إلى نظر! ننسى قدرة الله أنه قادرٌ على سلبها! نفتقد الشعور بها، ثم نشعر بالنعمة إذا سُلبَتْ منا.

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا تكونن كمَن يعجز عن شُكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم، ويكره الموتَ لكثرة ذنوبه، ولا يدعها في طول حياته)[1].

نشاهد مواقف حزينة؛ تجعلنا نتذكر كيف أسدى الله لنا نعمًا لا تُحصى، وبمجرد نسيان الموقف ننسى ونتناسى نعم الله علينا.

نستيقظ الصباح على صوت الرعد أو حتى نشم رائحة الغبار، أو إزعاج مشاريع الطرق، فهذه نعمة عظيمة.

نعمة عظيمة أنْ تصحو على تلك الأصواتِ، ولا تصحو على صوت الدبابات، أو صراخ الأطفال، أو هدم المنزل.

كان من دعاء داوود النبي عليه السلام: (يا رازق النعاب في عشه!)، وذلك أنَّ الغراب إذا فقس عن فراخه خرجَتْ بيضاء فإذا رآها كذلك نفرَ عنها، وتفتح أفواهها فيرسل الله ذبابًا يدخل في أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتى تسود، فإذا اسودَّتْ عاد الغراب إليها فغذاها، ودفع الله الذباب عنها[2].

---

(١) البيان والتبيين ١:٤٦٦

(٢) العقد الفريد ٦:٢٥٧

ما ظنك بمَن يعنف بالنعم عنفَ مَن ساءته مجاورتها، ويستخفُّ بحقها استخفاف مَن ثقل عليه حملها، ويطرح الشكر عليها اطراح من لا يعلم أنْ الشكر يرتبطها.[1]

نحن نرى ونبصر ونعي الأشياء من حولنا، فلابد أنْ نحسَّ بها، بقلوبنا قبل عيوننا، ولازلنا نحتاج إلى ثقافة الإدراك؛ نتعلمها ونعلمها لأطفالنا ولمن هم حولنا.

يتناقل الناس كثيرًا قول عمر بن الخطاب: (اخشوشنوا؛ فإنَّ النِّعَم لاتدوم) وهو ليس مرفوعًا عن الرسول - ﷺ - وليس ثابتًا عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو حديثٌ ضعيف، ولكننا نأخذ من المعنى العبرة، فكم هو جميل أنْ نشكر النعمة التي أسداها الله إلينا، ونحذر الانغماس في الملذات[2].

والمشهور «وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير» حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

ربَّنا لا تجعلنا من الذين غفلوا عن شكرك، اللهم لك الحمدُ كما أنعمتَ علينا نعمًا بعد نعم ولك الحمد في السراء والضراء، ولك الحمد في الشدة والرخاء، ولك الحمد على كل حال، اللهم لك الحمد كما أنت أهله ووليُّه، وكما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لك الحمد حمدًا طيبًا مباركًا فيه ملء السموات والأرض.

---

(١) زهر الآداب ٢:٩٥٩

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٥:١٣٦

سياسةُ الرّقصِ

من الرجعية والتخلف الذي يمارسه شبابُنا الرقصُ المتداول كثيرًا، والمنتشر بشتى أنواعه عبر شبكات التواصل الاجتماعيِّ.

تجدهم يتمايلون يمنة ويسرة بكل ما أوتوا من قوة، ترتدُّ أجسامهم إلى الوراء وإلى الأمام، ترى حركات الرؤوس عشوائية وكأنَّ هذا الرأس خلق من غير ذاك الجسد ولا يمتُّ له بصِلة، ترى اليديْن تلوح في الهواء، ثم يمضي الجسد خطوات بحركات عشوائية.

شعور مؤسف تجاه هذه المقاطع، ولو أنها كانت على أمر يستحقُّ كل الفرح الذي ترجم وعبَّر عنه بالرقص لكان أمرًا جيدًا.

هؤلاء المقلدون لديهم طاقة عجيبة قوية جدًّا صُرِفَتْ في أمر كالرقص، يفتقدون أمورًا كثيرة لم يتعلموها، ولم ينظر أحد إلى تلك الطاقة بنظرة إيجابية، كي يستفيد من هؤلاء الشباب بدعمهم مشروعًا ما يتقاضون عليه ولو مبلغًا زهيدًا من المال –

على ثقة بأنَّ لديهم استجابة؛ فهؤلاء الشباب في مرحلتهم العمرية ينظرون إلى الناس على أنهم متفرجون تنشأ لديهم رغبة جامحة للفت الانتباه بأيِّ أمر كان، ينتظرون التصفيق في النهاية، فالحياة مسرح بالنسبة لهم.

لو هذبَت سياسة الرقص إلى حركاتٍ رياضية تقتضي وجودَ مدرب من بين الراقصين لكان أحسن.

ولو هذبَت سياسة الرقص إلى البحث بين المنازل عن الأسر الفقيرة، وسدِّ كفايتها من الطعام وسؤال الناس لكان أفضل.

نحن في حياتنا أقرب إلى محاكاة كل اتجاه سلبيٍّ نحاكيه في كل شيء، ولو اجتهدنا استطعنا أنْ نبدل الأمور القبيحة إلى أمور عظيمة.

أحفظ عبارةً من كتب علم الاجتماع (إنَّ سلوك الإنسان مجموعةُ عاداتٍ) وهذه العادات تكتسب عن طريق المشاركة أو التعلم.

فرط الحركة الذي يتحدث عنه علماءُ النفس هو الطاقة التي تستمرُّ إلى مرحلة الشباب، وقد تستمر إلى الشيخوخة، وقد يكون الرقص فرطَ حركة مستمرة.

شاهدتُ أطفالًا كثر عندما يعجبهم أمرٌ ما عبَّروا عنه بالرقص، ولم يعرفوا التكبير! أما الفتيات الصغيرات اللاتي نشأنَ على تعلُّم الرقص بملابس خليعة، غير مبالياتٍ بحياء أو شريعة مشروع تربويٍّ هابط.

الرقص في اليوم الوطني سلوك يحتاج إلى مَن يحتويه؛ فالفرحة الوطنية أصبحت تترجم كلها بالرقص!

نطلب من أبنائنا سلوكًا حسنًا ولا نتيح لهم بيئة نظيفة متينة، لم نقدم لهم حتى نشعر بالإنجاز، ولم نغرس حتى نجني، ولم نصرف

عادة سيئة؛ حتى ننتظر ثمارًا يانعة نافعة، أصبحَت حياتنا أشبه بقوانين تطبق حتى افتقدنا المعلم الناجح الذي يعمل بالتطبيق.

وقد وردَت فصولٌ كثيرة في كتب التراث تحكي عن الأدب والسلوك، ومن ذلك: لا ينبغي للعاقل أنْ يخلي نفسه من واحدة من أربع: من عدة لمعاد، أو إصلاح لمعاش، أو فِكر يقف به على مايصلحه مما يفسده، أو لذة في غير مُحرَّم يستعين بها على الحالات الثلاث.[1]

ويُروى أنَّ عمر بن الخطاب - رحمه الله - ولّى رجلًا بلدًا، فوفد عليه فجاءه مدهنًا، حسنَ الحال في جسمه، عليه بردان، فقال له عمر: أهكذا ولَّيْناك؟ ثم عزله، ودفع إليه غنيمات يرعاها، ثم دعا به بعد مدة، فرآه باليًا أشعثَ في ثوبيْن أطلسيْن، وذكر عند عمر بخير، فردَّه إلى عمله، وقال: كلوا واشربوا وادهنوا، فإنكم تعلمون الذي تنهون عنه[2].

وقال رجل لمعلم ولده: ليكن أوّلُ إصلاحك لولدي إصلاحَك لنفسك، فإنَّ عيونهم معقودة بعينك، فالحسنُ عندهم ماصنعتَ، والقبيح عندهم ماتركتَ. علِّمْهم كتابَ الله ولاتُكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفَّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢:٨٥٠

(٢) العقد الفريد ٢:٤٣٢

يُحكموه، فإنَّ ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنِّبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلتُ على كفاية منك[1].

(اقدَعوا هذه النفوس فإنها طلعة واعصوها، فإنكم إنْ أطعتموها تنزع بكم إلى شرٍّ غاية. وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور[2])[3].

(١) المصدر السابق: ٢١:٨٣٨-

(٢) الدثور: الدروس

(٣) الكامل ٣:٢٣

صورةٌ

كأنَّ المناسبات في هذه الأيام تُقام لأجل التصوير، لا نستمتع باللحظة الجميلة من أجل الانشغال بالتصوير فكل فقرة في مواقفنا تُصوَّر وتُوثَّق، سياسة التصوير عند أكثر الأشخاص أصبحت عادة مزرية.

تحولَت المفاهيم التي كانت سابقًا تمنع التصوير فأصبح الباب مفتوحًا على مصراعيْه بسبب وجود كاميرات الجوال التي انتشرت بشكل كبير، فالتصوير العائم انتشر خاصة بين الفتياتِ؛ مما أفقدهنَّ الخصوصية.

اهتم الناس سابقًا بالتصوير والتقاط المشاهد الجميلة، ولكن ليس بهذا الحدِّ الذي بلغناه.

أعرف شخصًا قبل زفافه بيومَيْن التقط عدة صور له ولزوجته؛ حتى لا ينشغل بالتصوير عن مراسيم الزواج الأخرى؟! فهل التصوير ضرورة مُلِحَّة لهذه الدرجة؟!

الشاهد في موضوعنا أنَّ أغلب الزوجات تبلغ حدًّا من الإسراف في موضوع التصوير، وهذا الأمر يُكلِّفها فوق طاقتها بكثير.

ومن المفارقات العجيبة، أنَّ المشاهد والمواقف التي تصور وتنشر معبرة عن العلاقاتِ الحميمة سرعان ما تُنسى، فالمواقف الحسنة لايبقى منها إلا تعليقاتُ المدح والثناء فقط، والمواقف السيئة

يبقى منها تعليقات السخرية والاستهزاء ولا معتبر أو مجيب! والمال يصرف في غير حاجة لأمورة تجلب الفقر، حيث ينعدم الوعي.

قالوا: لا مال لأخرق، ولا عيلة على مصلح، وخير المال ما أطعمَك لا ما أطعمتَه.

أما تصوير الأطباق فهو الهوس المنتشر بين النساء، تجد كلَّ الحالات في الجوال... شكرًا أُمَّ فلان على الطبق، وشكرًا على الدعوة... وكأنها لأول مرة تذوق أكلًا أو حتى تشم ريحه.

ومن العجيب أنَّ أغلب النساء إذا حدث سوء فهم بينها وبين زوجها تُسارع إلى تلك الصور التي وصلت بها إلى حدِّ الهوس، فأنفقت عليها ما أنفقت فتعمد إلى تمزيقها أو حرقها، ناسية المبالغ التي صُرفت لأجلها، ناسية رفض زوجها في بداية الأمر فكرة التصوير.

وقيل: لينفق صاحب المال ماله في ثلاثة مواضع: في الصدقة إنْ أراد الآخرة، وفي مصانعة السلطان إنْ أراد الذكر، وفي النساء إنْ أراد نعيم العيش.[1]

قال سفيان الثوري: مَن كان في يده شيء فليصلحه، فإنه في زمان إنْ احتاج فيه، كان أول مايبذله دينه.

وقال المتلمِّس:

وحبس المال أيسر من فناه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد[2]

(١) زهر الآداب ١:٣٢٤

(٢) البيان والتبيين ٢:٤٣٢

وقيل: مالك من عيشك إلا لذة تزدلف بك إلى حمامك، وتقربك من يومك، فأيَّة أكلةٍ ليس معها غصصٌ أو شربةٍ ليس معها شرقٌ، فتأمل أمرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود، الدنيا أهل سفر لايحلون عقد رحالهم إلا في غيرها[1].

(١) الكامل ٢:١٩٦

شوقٌ

أُعجب رجلٌ بامرأة، وتطورَت العلاقة إلى الزيارة في المنزل، زيارة تلو زيارة، ثرثرة وأحاديث بين الرجل والمرأة، تضخمَت الزيارات التي كان يرصدها ببغاء المنزل والذي وضع في قفص عند الباب.

جرت هذه الحادثة قريبة جدًّا من عهد كتابتي لها، وكل ما سمعتُه من الأحاديث التي يتناقلها الناس أنَّ الببغاء كلما دخل الزوج البيت أخذ ينطق مردِّدًا اسم الرجل الذي كان يدخل في الخفاء إلى منزله، تعجَّب الرجل وأثار ذلك الاسم دهشته، ردد الببغاء الاسمَ كثيرًا إلى أنْ كشف خيانة زوجته له مع ذلك الرجل؛ فطلقها.

قصة من أغرب قصص الخيانة الزوجية بسبب الشوق والحب الذي صُرِفَ في غير طريقه.

وصف أعرابيٌّ الهوى فقال: (هو داءٌ تداوى به النفوس الصحاح، وتسيل منه الأرواح، وهو سقيم مكتوم، وجمر مضطرم، فالقلوب له منضجة، والعيون ساكنة)[1]

وقيل إنَّ بعض الحكماء أغلق أبواب الشبهات بأفعال الزهادة وفتح أبواب البر بمفاتيح العبادة؛ فإن ذلك يدنيك من السعادة، وتستوجب

(١) زهر الآداب ٢: ٧٢٦

من الله الزيادة وقال غيره: إن اللذة مشوبة بالقبح ففكروا في انقطاع اللذة وبقاء ذكر القبح.

وقيل في التعفف:

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفا
فإذا تعففعن محارم ربه فهناك يدعى في الأنام ظريفا[1]

وفي أبيات أخرى:

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني منه الفكاهة والتقبيل والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر[2]

الخيانة الزوجية من أعظم المفاسد التي نهانا الله عنها، وكبيرة من الكبائر، تنشأ غالبًا نتيجة تراكمات نفسية بين الرجل والمرأة.

المرأة بطبعها ميالة لإبراز كل عيوب زوجها إلا ماندر في بعض النساء، والمعاملة السيئة قد تسلب الاطمئنان، فتسكنها الوحشة، وتبدأ رحلة البحث عن العواطف الجياشة التي من الممكن أنْ تحتويها، ولكنها لا تدرك أنها عواطف حالمة مؤقتة خالية من الحب البريء الطاهر.

---

(١) المصدر نفسه ٢:٧٢٦

(٢) المصدر السابق ٢:٧٢٦

الفرجُ

أحيانًا تكره أمرًا يجري لك في حياتك، تزاوله على مضض كل يوم، تدفع نفسك وكأنها جبل، تنتظر اللحظة التي يأتي بها الفرج للخلاص مما أنت فيه من ضيق وأزمات.

تنظر في كل الاتجاهات دون جدوى، أُغلقت الأبواب، يضيق صدرك، تكتئب تحدث نفسك بأفكار كثيرة، تبحث عن مخرج دون جدوى وصلت لذروة القهر توقعت نفسك لن تحتمل، ومع ذلك كنت صابرًا.

وفجأة؟!

يأتيك فرج ربك بالمسرات سرعان ما تبتهج الدنيا معك، ترى العالم الذي حكمت عليه مسودًا أصبح مضيئًا.

الشمس التي لم تشرق أشرقت، والسماء الكئيبة ازدانت، وتنفس الصبح في ناظريك بلحظات سعيدة.

قال محمد بن يسير:

إنَّ الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا

لا تيأسن وإنْ طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أنْ ترى فرجا

اخلق بذي الصبر أنْ يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أنْ يلجا[1]

وقد يأتيك الفرج بمقدمات تريحك نفسيًّا.

يقول عمر بن الخطاب: (لو أنَّ الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت)[2].

قالت الحكماء: (أصل الزهد الرضاء عن الله). وقال الفضيل بن عياض: (استخيروا الله ولاتتخيروا عليه، فربما اختار العبدأمرًا هلاكه فيه)، وقالت الحكماء: رُبَّ محسود على رخاء هو شقاؤه، ورحوم من سقم هو شفاؤه، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه.

قال الشاعر:

قدينعم الله بالبلوى وإنْ عَظُمَت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم[3]

سمع أحد الصالحين رجلًا يشكو بلاء نزل به، فقال: يا هذا، تشكو مَن يرحمك إلى مَن لايرحمك. وقال: مَن شكا مصيبة نزلتْ به فكأنما شكا ربه.

وقال أحد الشعراء يرثي أخاه:

قليل التشكي للمصائب ذاكرا من اليوم أعقاب الأحاديث في غد[4]

---

(١) البيان والتبيين ١: ٦٩٠

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٠٨

(٣) العقد الفريد ٣: ٢٠٨

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٠٠١

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا تكونن كمَن يعجز عن شكر مأوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم، ويكره الموت لكثرة ذنوبه، ولا يدعها في طول حياته).[1]

قال أحد الرواة: أخبرني صديق لي قال: سمعني شريح وأنا أشتكي بعض ماغمَّني إلى صديق لي فأخذ بيدي وقال: ياابن أخي، إياك والشكوى إلى غير الله؛ فإنه لا يخلو مَن تشكو إليه أنْ يكون صديقًا أو عدوًّا، فأما الصديق تحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك، انظر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عينيْه - فوالله، ما أبصرتُ بها شخصًا ولا طريقًا منذ خمس عشرة سنة، وما أخبرت بها أحدًا إلى هذه الغاية، أما سمعتَ قول العبد الصالح: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فاجعله مشكاك ومفزعك عند كل نائبة تنوبك، فإنه أكرمُ مسؤول، وأقربُ مدعوٍّ إليك.

(١) البيان والتبيين ١: ٤٦

وكتب عقيل إلى أخيه عليٍّ بن أبي طالب - رضوان الله عليهما يسأله عن حاله فكتب إليه:

فإنْ تسألني كيف أنت فإنني جليدٌ على ريب الزمان صليب

عزيز عليَّ أن ترى بي كآبةً فيفرح واشٍ أو يُساء حبيب[1]

نستيقظ الصباح على صوت الرعد، أو حتى نشمّ رائحة الغبار، أو إزعاج مشاريع الطرق؛ فهذه نعمة عظيمة، نعمة عظيمة أنْ تصحو على تلك الأصوات ولا تصحو على صوت الدبابات أو صراخ الأطفال، أو هدم المنزل.

سمعتُ سائلًا اتصل بشيخ للفتوى وقال: ياشيخ تعسَّرَتْ أموري، وياليتَني متُّ قبل هذا وكنتُ نسيًا منسيًا.

فقال الشيخ: اصبر على قضاء الله، هل قذفوك في النار؟!

هل قذفوك في عرضك؟!

هل أخرجوك من ديارك؟!

ثم قال: انظر إلى ما تملك، لا إلا ما تفقد.

علَّم رسولُنا الكريم - ﷺ - معاذًا، دعاءً «يا معاذُ، إني أحبُّك فلا تنس أنْ تقول في دبُر كل صلاة: اللهم أعِنّي على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك»[2].

---

(١) المصدر السابق ٣: ٢٠١

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١: ٣١٥

عزيمةٌ وإصرارٌ

في يوم من الأيام تعطلَت السيارة، والسائق حديثُ عهد بكل ما حوله، نزلتُ مترجلةً؛ فمن الممكن أنْ يبدو لي سبب العطل، نظرت إلى أسفل السيارة يمنة ويسرة، لم أعرف سببَ العطل، ثم نظرتُ إلى أعلى السيارة أيضًا لا محالة، مَن يلمحني يحسب أنَّ لي باعًا طويلًا في القيادة، بل في إصلاح الأعطال!

أخيرًا... اقتنعتُ أني لا أملك سوى النظر إلى إطاراتِ السيارة!

هذا ما أملكه في الوقت الحالي!

طلبتُ من السائق مرارًا أنْ يفحص السيارة؛ لعله يكتشف الخللَ.... دون جدوى!

أحد الشباب مستقلًّا سيارته ينظر إلى الموقف.. وكأنه قرأ ما في نفسي.

كان بودّي أنْ أطلب منه المساعدة فلعل الأمر يسيرٌ والعطل هينٌ، تراجعتُ عن ذلك حياءً، قهرتْني الحيرة وطول الانتظار فقد أتأخر عن عملي، وفجأة وجدتُ نفسي أستنجد بذلك الشاب حيث أخبرتُه عن مشكلتي عندها نظر إليَّ مليًّا متعجبًا!

لم أعرف سرَّ تعجبه إلا عندما فتح الباب وأبطأ في النزول، فإذا عكازتان تترجلان أمامي وهو يتكىء عليها بكل انكسار، تنهَّد واستقام

بعد عراك مع العكازتيْن، تقدَّم بصعوبة واضحة، يجرُّ قدميْه وكأنهما جبل! لا أدري ماذا أفعل أمام هذا المشهد الذي قدمتُه لنفسي؟! وقفتُ مهزومة بالرغم من شجاعة الموقف!

أخذ يقترب من السيارة بخطواتٍ بطيئة جدًّا، ممتزجة بشجاعة وإرادة ووجهه محمرّا شاحبًا، وصل وقسمات وجهه تعبّر عن الانتصار الذي كان في نفسي قبل أنْ يكون في نفسه!

نظر إلى السيارة ثم أخبرني بمدى حجم العطل، وعرض عليَّ خدماته بما استطاع.

تألمتُ كثيرًا وحزنتُ، وضاقت عليَّ الأرض بما رَحُبَتْ، كم أدهشني ذلك الموقف، بما تمتَّع فيه من إصرار وعزيمة!

علَّمَني قهرَ المستحيل، وعلَّمَني الجلَدَ والصبر؛ وقد كنتُ أحسب نفسي جلدةً صبورةً!

يصاب بعضهم لو بزكام نجده يشغل مَن حوله، ويتقاعس حتى عن العمل، أو يُزوّر تقريرًا طبيًّا لأجل المكوث في الفراش أطول مدة.

شكرا لك يا ألله على كل ما أوتينا من النّعَم. فليسَت القوة بالسلاح، إنما القوةُ بالعزيمة والإصرار.

عندما اتَّحد جيش المسلمين في غزوة بدر كانت القوة في صفوفهم واتحادهم، فأبوا إلا أنْ يجتمعوا على كلمة واحدة من أجل العيش بسلام، لم يهمّهم كثرة عدد جيش المشركين الذين كانوا يُشكّلون ثلاثة أضعاف جيش المسلمين وأسلحتهم، ونزلوا في ساحة المعركة بقوة مُلفِتة، حتى سيطروا على جيش المشركين وانتصروا بقوة كلمتهم.

قال الشاعر:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب[1]

قال الرسول - ﷺ - للأنصار: «إنكم لتكثُرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع».[2]

مَن أراد طول البقاء فليوطّن نفسه على المصائب. وقولهم: «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان. حيلة من لا حيلة له الصبر»[3].

دخل كثيرٌ على عبدالملك بن مروان في أول خلافته فقال: أنت كثير؟

فقال: نعم فاقتحمَه، وقال: تسمع بالمعيدي لا أنْ تراه!

فقال: يا أمير المؤمنين، كلُّ إنسان عند محلّه رحبُ الفناء، شامخُ البناء، عالي السناء.

وأنشدَ يقول:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسدٌ هصور

ويعجبك الطرير[4] إذا تراه فيخلف ظنك الجل الطرير

بغاث الطير أطولها رقابًا ولم تطل البزاة ولا الصقور

خشاش الطير أكثرها فراخًا وأم الباز مقلاة[5] تزور[6]

---

(١) الكامل ٣:٣٤

(٢) المصدر نفسه ١٢:١

(٣) المصدر نفسه ١٥٤

(٤) الطرير: ذو المنظر

(٥) مقلاة: لايكثر فراخها

(٦) زهر الآداب:١: ٣٥٥

حُسنُ الكلامِ

أروعُ العلاقات تكمن في حسن الكلام، فالإنسان الذي يراقب كلامه ولا يقول إلا خيرًا، يراعي كلَّ مَن حوله متمثلًا آدابَ الحديث، يجد نفسه بعيدًا عن المناقشات التي تجلب المراء.

الكلمة كالرصاصة إذا انطلقت أصابت؛ لذلك نجد كثيًرا من المجالس تعجُّ بالأحاديث التي يخالطها الفاحش البذيء، فالإنسان الذي لا يطوّر نفسه على تهذيب حديثه يُنظَر إليه نظرة انحطاط.

الصوت الهادئ أثناء الحديث يُعتبر من حُسن الكلام، فلا يستقيم إيمانُ العبدحتى يستقيم قلبه، والقلب لا يستقيم إلا باستقامة اللسان.

إنَّ القرآن الكريم خير مربٍ على تهذيب النفس، فإذا تهذبَت النفس لمسَت ذلك في الجوارح.

يؤمن كثير من الأشخاص بأنَّ نبرة الصوت لها علاقة بالنفسية، ومن ذلك تحدد الشخصية، فقد فسَّر علماء النفس أنَّ أصحاب الأصوات العالية قد تسبق كلماتهم تفكيرهم من جرّاء العصبية الزائدة، فيتخذوا القرارات السريعة ولا يحسوا بالأمن في علاقتهم بالآخرين، وقد تشفق عليهم أحيانًا فهم يبذلون طاقات كبيرة تُهدر بالصوت العالي والمجادلات العنيفة.

أكثر الفرقة بين الأفراد والجماعات بسبب التراشق بالألفاظ، ورفع الصوت، ومن ذلك الخصوماتُ بين الإخوان والأصدقاء وحالاتُ الطلاق.

قرأتُ قصة عن حُسن الكلام واختيار ألفاظ وعباراتٍ تناسب الحال والمقام، بعيدةً عن التجريح والإحباط.

رأى أحد الملوك بمنامه أنَّ كل أسنانه تكسَّرت، فأتى بأحد مفسري الأحلام وقصَّ عليه أنَّ أسنانه تكسَّرَتْ في الحلم، فقال المفسر: أمتأكدٌ أنت؟!

فأجابه الملك: نعم!

فقال المفسر: تفسير ذلك - ياسيدي - أنك سوف تموت بعد موت أهلك. فتغيَّر وجهُ الملك وغضب على الفور وسجَن المفسر، ثم أتى بمفسّر آخر، فقال له الكلام نفسَه، فسجنه أيضًا، فجاء بثالث وسرد له حلمه، فقال المفسر: تأويل الحلم أنك ستكون أطولَ أهلك عمرًا.

فقال الملك مستغربًا: أمتأكدٌ؟!

فقال: نعم، ففرح الملك فرحًا شديدًا وأعطاه هدية!

وتفسير ذلك أنَّ أهله سيموتون قبله! فمن الطبيعيِّ أن يكون الملك أطول أهله عمرًا؛لأنه سوف يموت بعدهم !

الجميل في القصة أنَّ حُسن الكلام واستخدام الكلماتِ المناسبة كان هو الفارق في تعبيرات المفسرين.

يبقى حُسن الكلام مهارة تحتاج مَن يُتقنها، تعتمد على انتقاء الكلمات والألفاظ، فكثيرٌ من الخصومات بدايتها الأحاديث السيئة ورمي الكلام جزافًا؛ ومن ثَمَّ تنتشر الكراهية والعداوة بين الناس.

وأحسنُ الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - قد ألبسَه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله.[١]

قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة: كبرتَ يا معن، قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: إنك لجلد، قال على أعدائك. قال: فأيُّ الدولتين أحب إليك هذه أمْ دولة بني أمية؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، إنْ زاد برُّك على برِّهم كانت دولتُك أحبَّ إليَّ[٢].

وقال عليُّ بن الحسين بن عليٍّ (رضي الله عنهم): «لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة، وجملة الحال في صواب التبيين، لأعربوا عن كلّ ما تخلج في صدورهم، ولوجدوا من برد اليقين ما يُغنيهم عن المنازعة إلى كلّ حال سوى حالهم»[٣]

وقيل: (الكلمة إذا خرجَتْ من القلب وقعَتْ في القلب، وإذا خرجتْ من اللسان لم تُجاوِز الآذان).[٤]

---

(١) البيان والتبيين ١:٩٠

(٢) زهر الآداب ٢:٨٤٢

(٣) البيان والتبيين ٣:٩١

(٤) المصدر نفسه ٩١: ٢

لاأحتمل مجالسةَ الأشخاص الذين إنْ تسألهم سؤالًا، إجابتُه لا تحتمل سطرًا أجابَك بالصفحاتِ المطولة، فيجعل من الذين حوله ليس لديهم رغبة في سماعه، أو تصدَّر بالحديث في المجالس آمرًا وناهيًا في مواقف وأحاديث لا تليق.

أحيانًا تجد الشخصَ الجارح في حديثه دون قصد، فهو لم يتنبه ولم يُعوّد نفسه على مراعاة أحوال الجالسين حوله، وأحيانًا تجد مَن يرمي السهم مرةً ومرتين قاصدًا ومتعمدًا.

دَع الناس تشتاق لحديثك عندما تغادر مجالسهم، اجعل حديثك كأنه قافيةٌ، لا تدخل في جدال يجعلك لاتكسب الآخرين، أو تنشر الضغائن والحسد.

وقليلٌ في المجالس المنصتون أو حتى المركزون؛ الكلُّ يتحدَّث في آنٍ واحد، لاتجد سوى التجمعاتِ التي تضيّع الوقت في مالا فائدة.

ومن حُسن الكلام أنْ تُعوّد صغارك على أنْ يبتعدوا عن الألفاظ البذيئة التي تهدم شخصياتهم، وأنْ يتحدَّثوا بعباراتٍ لائقة ملفتة، لا تصفق لهم حين تلفظهم بالكلام البذيء بداية نطقهم في المراحل الأولى؛ فهي تنمو وتتربى معهم حتى تستفحل ولاتستطيع نزعها، كن مُحذِّرًا لا مشجعًا.

لامانع من أنْ تتحدث مع نفسك؛ فهي وسيلة ترفيه، معظم الشخصيات المشهورة كانوا يتحدثون مع أنفسهم بصوت مرتفع، وعلى سبيل المثال : (أينشتاين) عالم الفيزياء الألمانيّ كان يُعيد الجمل أكثر من مرة بصوت مرتفع.

الحديث مع النفس بصوت مرتفع مؤشرٌ على الذكاء، ويقلل من حدة التوتر، ولكن ليس بمرأى من الناس؛ فربما ينظر لك الكثير على أنه خلل عقليٌّ تعاني منه وتمارسه...فاتنبه!

مُطِرْنا بفضل الله ورحمتِه

أكثرُ الذين يشاهدون المطر ينشغلون بمفاجأة نزوله، لقلة هطوله، فينسونَ الدعاء، وتطبيق السُّنَّة، لاسيما أنَّ المطر عنوانٌ نادرٌ للفرحة.

المطر يحمل بين طياته الخير، ويجعلنا نتأمل الجمال الربانيَّ الذي أوجدَه الله بالطبيعة الكونية التي غفلنا عنها كثيرًا.

لم يكن المطر إلا صيبًا نافعًا يُشعرنا بالسعادة والأجواء المريحة، يقول الرسول - ﷺ - إذا رأى المطر: «صيِّبًا نافعًا».

وكان - ﷺ - يحسر ثوبه حتى يصيب المطر بدنَه؛ معللًا بأنَّ المطر حديثُ عهدٍ بربِّه.

يذكِّرنا المطر بحمد الله وشكره على نعمةٍ مالنا طاقةٌ بوصفها، فكل قطرة تحكي أنَّ الخير قادم، والأمل موجود.

المطر استمرارية للحياة، نتفاءل بقطرات المطر تطرق نوافذنا، ولا ترتعد فرائصنا ولا نقلق عندما ينزل المطر فلا يجلب بين قطراته إلا الخير، بل يكشف الحقيقة، فقطراتُ المطر تغسل الوجوه المخادعة التي إنْ أحسَّتْ بسقوط المطر سارعَتْ إلى حمل المظلاتِ؛ فالقلوبُ الطاهرة لا تتجنَّب المطر.

جرّب واسترخِ قليلًا عندما تشم رائحة المطر، تنفَّس رائحة المطر، ادعوا الله ماشئتَ، وربما تجد نفسك تحنُّ إلى آمال وإلى ذكريات.

نسجوا حكاياتٍ كثيرة عن أجواء المطر، وعلَّقوا مدحًا بالفتاة الفرنسية التي ما إنْ نزل المطر جلسَت عند النافذة تحتسي فنجانًا من القهوة مراقبةً قطراتِ المطر كيف تتسابق قطرة تلوَ القطرة منتعشة بالأجواء الجميلة، وضحكوا استهزاءً بالفتاة السعودية التي ما إنْ شمَّت رائحة المطر ولَّتْ مدبرةً تنظف وتغسل مغتنمةً وجود الماء كي لا تسرف!

وما علموا أنَّ ذلك الأسلوب المشين وسيلة لإسقاط همة المرأة العربية على وجه العموم وغرسها في نفوس الأجيال وتنشئتهم عليها، متناسين أنَّ أصل الذوق الجميل المرهف في المرأة العربية!

مهما كان نزول المطر، فهو يشكل معنى الرزق والحياة نزلَ المطر على الأرض العطشى؛ فاخضرَّت وأنبتَت من كلِّ زوج بهيج.

نزل المطر على الأطفال فتراقصوا فرحًا بقدومه مستشعرين بوجودهم، وكأنما خلقه الله ليشارك الأطفال السرور، ويعيش معهم معنى السعادة.

ونزل المطر على أطفال سوريا فاستعادوا طفولتهم المسروقة، وذكرهم بأيامهم السعيدة التي تبدلَت بالسنين العجاف، عادت لهم البهجة بالمطر، فهل تعود أرضهم؟!

نزل المطر على المظلوم فرفع يديه إلى السماء طالبًا ربه؛ فلا يدري مع أية قطرة يستجاب الدعاء!

دخل أعرابيٌّ على سليمان بن عبد الملك[1] فقال له: أصابتْك سماءٌ في وجهك يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين غير أنها سحاء طخياء[2] وطفاء[3] كأنَّ هواديها الدلاء، موصولةٌ بالآكام، تمسُّ هام الرجال، كثيرٌ زجلها، قاصفٌ رعدُها، خاطفٌ برقُها، حثيثٌ ودقُها، بطيءٌ سيرُها، متفجرٌ قَطرُها، مُظلمٌ نوؤها، قد ألجأت الوحشَ إلى أوطانها، تبحث عن أصولها بأظلافها، متجمعة بعد شتاتها، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بالشجر، وتعلقنا بقنن الجبال، لكنا جفاء[4] في بعض الأدوية ولقم[5] الطريق، فأطال الله للأمة بقاءك، ونسألها في أجلك، فهذا ببركتك، وعادة الله بك على رعيتك، وصلى الله على سيدنا محمد.

فقال سليمان: لعَمرُ أبيك لئن كانت بديهةً لقد أحسنتَ، وإنْ كانت مُحبَّرة لقد أجدتَ.

قال: بل مُحبَّرة مزوَّرة يا أمير المؤمنين.

---

(١) سليمان بن عبدالملك بن مروان بن مروان بن أمية الخليفة الأموي السابع (سير أعلام النبلاء) ٥: ١١٢

(٢) طخياء: مثقل بمائه

(٣) الوطف: استرخاء الجوانب من كثرة الماء

(٤) الجفاء: ما يقذفه السيل من الزبد والوسخ

(٥) لقم: وسطه

قال: يا غلامُ أعطِه، فوالله لصِدقُه أعجبُ إلينا من وصفِه.[1]

تغنّى أكثر الشعراء بالمطر، وبفتاة المطر تعبيرًا عن اشتياقهم له، حيث ارتبط المطر بالاشتياق والفراق، فمن وصف امرئ القيس للسحاب وقطرات المطر إلى قصائد نزار قباني الذي يربط المطر بشوقه لحبيبته:

هاربًا من مدنٍ نامت قرونًا تحت أقدام القمر
تاركًا خلفي عيونًا من زجاج وسماء من حجَر

لا تقولي: عُد إلى الشمس..فإني أنتمي الآن إلى حبِّ المطر.[2]

ولبدر شاكر السياب أنشودة المطر التي تغنى بها معبرًا عن شوقه لحبيبته.

مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
تثاءب المساء والغيوم ماتزال
تسحُّ ماتسحُّ من دموعها الثقال
كأنَّ طفلًا بات يهذي قبل أنْ ينام
بأنَّ أمَّه التي أفاق منذ عام

(١) العقد الفريد ٣:٤٦٦

(٢) ديوان نزار القباني:٤٣

فلم يجدها ثم حين لجَّ في السؤال

قالوا له: بعد غد تعود[1].

ومن جماليات المطر حين تراه في المنام، يفسر ويدلُّ على الخير القادم والفرج، فالله جعل من الماء كل شيء حيّ.

لا أحد يعرف متى يهطل المطر، لكننا نرجوه ونتوسله ونصلي لأجله الاستسقاء.

اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك.

(١) ديوان بدر شاكر:٨٧

تكاليف!

التهنئة في أغلب جنباتِ مجتمعاتنا متكلفة، ومظهرٌ من مظاهر الإسراف والتبذير، فتجد الموائد الزائدة عن حاجة الحضور.

أصبحنا نفتقد البساطة في التهنئة، ونُحمّل أنفسنا فوق طاقتها، وبلغَ بنا الحال مابلغ، فأصبحنا نستثقل همَّ القيام بالواجب بسبب التكاليف المادية؛ لذلك تلاشَت المحبة والألفة بيننا.

يقينًا أصبحَت التهنئة بكثرة الموائد والتكاليف، فما عجبتُ من شيء عجبي من موائد النساء في التهنئة بالمولود! وما رأيتُ أشد مبالغةً منهنَّ في الحديث!

تتكلف النساء في تلك الزيارة، وكل واحدة منهنَّ تتسابق في تقديم هدية أحسن من الأخرى وتدخل النقاشات والغيرة، والأشد من ذلك مَن تسعى للتميز فتُخفي هديتها حتى لا يقلدها أحد!

تجتمع أواني القهوة والشاي، وأواني الحلى والموالح، وكل الحديث يدور حول: مَن يشبه الصغير؟ وماذا عن غيرة الكبير؟ بينما تمضي الأم أربعين يومًا بين هذه التساؤلات وهي التي تجيب الزائر في كل يوم وليلة، ومع هذا كله قد تُحمد ضيافة أهل البيت وقد لا تُحمد،

وربما تجتمع الآراء على حُسن تجهيز مستلزمات المولود، وربما تتشتت بين ناقد ومُستهزئ.

تبقى عادة اجتماعية جميلة، وزيارة مريض يثاب فاعله، لا أقل من ذلك ولا أكثر!.

أمّا التهنئة بالمنزل الجديد فتجد أكثر المهنئين ناقدين، قليلٌ مَن يحتفظ برأيه، فتُعرَض آراء كثيرة من غير طلب وتعقد المشاورات والمناظرات من أجل لون جدار أو أثاث؛ حتى يصبح النقد منفرًا.

مَن يصغي لتلك الآراء يجد نفسه كل يوم مضطرا أنْ يغير أو يبدل في بيته الشيء الكثير، فلا تجد الهدف ولا الفائدة في الإصغاء، وقد ينسى بعضهم الهدفَ الذي جاء إليه وهو التهنئة، وليس النقد اللاذع.

جميلةٌ اللباقة في التهنئة والتركيز على إدخال السرور في نفوس أصحاب المناسبات، والابتعاد عن الأمور التي من الممكن أنْ تجلب النكد والهموم.

رُوي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عليه أنه افتقد عبدالله بن العباس – رحمَه الله – في وقت صلاة الظهر، فقال لأصحابه: ما بال أبي العباس لم يحضر؟

فقالوا: وُلِدَ له مولود. فلما صلى عليٌّ، رحمه الله، قال: امضوا بنا إليه، فأتاه فهنَّأه، فقال: شكرتَ الواهب، وبورك لكَ في الموهوب، ما أسميته؟

قال: أو يجوز لي أنْ أسميه حتى تسميه؟

فأمر به فأُخرج إليه، فأخذه فحنَّكه ودعا له، ثم ردَّه إليه، وقال: خُذه إليك أبا الأملاك، قد سميتُه (عليّا) وكنيتُه (أبا الحسن).

فلما قام معاوية قال لابن عباس: ليس لكم اسمُه وكنيته، وقد كنيتُه (أبا محمد) فجرَت عليه[1].

ومن المفارقاتِ العجيبة، إذا احتفيتَ بشخص ودعوتَه لوليمةٍ للسَّمر والتسلية والسؤال عن الحال، لا تجد الأُنسَ والمسرة بسبب كثرة الانشغال بوسائل التواصل الاجتماعي التي سيطرَت على أغلب البشر، ومع تلك المبالغة والاحتفاء الزائد فإنَّ أول ما يُفاجئك به حين دخوله، السؤالُ عن رقم الشبَكة!

كان عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - يلتفُّ في كسائه وينام في ناحية المسجد، فلما وردَ الهرمزان[2] عليه جعلوا يسألون عنه، فيقال: مرّ هاهنا آنفا، فيصغرُ في قلب الهرمزان إذا رآه كبعض السوق حتى انتهى إليه، وهو نائمٌ في ناحية المسجد، فقال الهرمزان: هذا والله الملك الهنيءُ. يقول: لا يحتاج إلى أحراسٍ ولا عدد!، فلما جلس عمر امتلأ قلبُ العلج منه هيبةً لِما رأى عنده من الجد والاجتهاد، وألبس من هيبة التقوى[3].

---

(١) زهر الآداب ١:٣٢٢

(٢) الهرمزان: أعظم قواد الفرس الكامل ١:٢٦٩

(٣) الكامل ١:٢٦٩

خاتمة

وصلتُ الختامَ في هذه الصفحةِ؛ فالحمدُ للهِ الذي تتمُّ به الصالحاتُ، حمدًا طيبًا مباركًا.

وكلُّ مادونتُه فكرةٌ متواضعةٌ بَيَّنْتُ فيها قيمةَ كتب التراث الأدبيِّ وفائدتها في أخْذِ العظة والعبرة وإصلاح المجتمعاتِ والأفراد.

آمَلُ من الله أنْ تنال القبولَ، وتلقى الرِّضا.

وصلّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، أفضلَ الصلاةِ وأتمَّ السلام.

المراجع

أ: كتب التراث الأدبي

١ – البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن السندوبي، دار إحياء العلوم.

٢ – زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوى، دار الفكر العربي.

٣– العقد الفريد، لابن عبد ربِّه الأندلسي، شرح: أحمد أمين، ابراهيم الأبياري، عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي.

٤ – الكامل في اللغة والأدب، للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

ب: كتب أخرى

١ – ديوان نزار القباني، تحقيق.....

٢ – ديوان شاكر السياب، تحقيق: بسيوني، مكتبة جزيرة الورد.

٣– سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة.

٤ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.

٥ – زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

الفهارس

إهداء ٥

المقدمة ٧

نقوشٌ على الجدرانِ ٩

قهوة (أ) ١٢

قفا نبك ١٦

رِجيم ٢١

تواصلوا ٢٥

كنتُ أمزح! ٣٠

البنات ٣٣

الذِّكر ٣٧

جفافٌ ٤١
المدينةُ المثاليةُ ٤٦
الطامحون ٥٠
صفحاتٌ أخرى ٥٧
عيادةٌ مثاليةٌ ٦٢
جيلٌ محبطٌ! ٦٥
تربية ٧١
جاحدُ المعروفِ ٧٥
التلقين ٧٨
مُخضرَمون ٨٢
بعوضة ٨٨
ميلادٌ جميلٌ ٩٢
قهوة (ب) ٩٧

رسائلُ عابرةٌ ١٠٢
وَبَشِّر الصّابرين ١٠٦
سلامٌ عليكُم... طِبْتُم ١٠٩
استَعينوا على حاجاتِكم بالكُتمانِ ١١١
فتاوى ١١٥
هرمونُ السعادةِ ١١٩
فنُّ الراب منقِذُ مَن لا حيلةَ له في الشِّعر ١٢٤
المعاني مطروحةٌ في الطريقِ ١٢٩
مجالسُ ١٣٢
قدرةُ الله ١٣٨
سياسةُ الرَّقصِ ١٤١
صورةٌ ١٤٥
شوقٌ ١٤٨

الفرجُ ١٥٠
عزيمةٌ وإصرارٌ ١٥٤
حُسنُ الكلامِ ١٥٧
مُطِرْنا بفضل الله ورحمتِه ١٦٢
تكاليف! ١٦٧
خاتمة ١٧٠
المراجع ١٧١
الفهارس ١٧٣